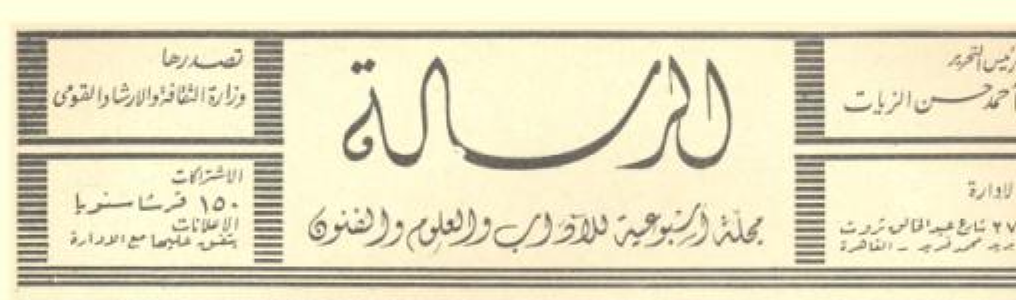


الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ١٠٣٢ - ٧ جمادى الآخرة ١٣٨٣ هـ - ٢٤ أكتوبر ١٩٦٣ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

من حديث المرأة

بقلم أحمد حسن الزيات

عادت الرسالة وعادت اليها (حياة)

و (حياة) كما يذكر قراء الرسالة الأولون فتاة مصرية من الطراز الاول في ثقافة القلب واللسان كان لها قلائد من الأدب العالي تحلى بها صدر (الليبرتيه) أيام كان يصدرها في القاهرة الكاتب الفرنسي (ليون كاسترو) ثم كان لها بعد احتجابها رسائل الى الرسالة تعالج فيها شأنا من شئون المرأة كان آخرها رسالة نشرت بعدد ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٩ ثم انقطع عنى خبرها فلم أعد أقرأ لها ولا أسمع عنها ، حتى يوم الاحد الماضي ، اذ ألقى الى البريد كتابا منها يختلف عما كانت ترسل في لون الغلاف ونوع الورق فلم أعرفه كالعادة من ظاهره . فلما فضضته ووقع نظرى على الامضاء ، سرت في شعورى نشوة الذكرى وفرحة اللقاء . ولعل من الافضل الا أترجمه اليك ، قبل أن أقص جملة أمرها عليك :

كتبت مقالا في عدد ١٥ مايو سنة ١٩٣٣ من الرسالة أقول فيه :

« ان غاية الكمال الاجتماعي أن يكون الرجل في كفة والمرأة في كفة من ميزان المجتمع . وتلك هي السنة التي فطرنا عليها الله ، والنظام الذى فرضته علينا الطبيعة ، أما المجتمع الأعرج الأشل البليد

الخشن فغير جدير بالسباق ولا باللحاق في هذا العصر السريع الطائر ·

***

ومجتمعنا بغير المرأة هو ذلك المجتمع : فهو أعرج لانه يمشي على قدم واحدة ، أشل لانه يعمل بيد واحدة ، بليد لأن حدة العواطف تنقصه ، خشن لان لطافة الانوثة تعوزه ··· لاحظ مجلسا من مجالسنا احتشدت فيه الرجال شبابا وكهولا فماذا تجد ؟ تجد الحركات العنيفة والاصوات الناشزة والمناقشات العميقة والأحاديث الجريئة والكلمات المندية والذوق العامي والحس البطيء · لاحظ هذا المجلس نفسه وقد حضرته امرأة ـ امرأة واحدة لا غير ـ تجد الحركات تتزن والاصوات ترق والمناقشات تنتج والأحاديث تحتشم والكلمات تنتقى والذوق يسمو والحس يرهف · ذلك لأن الرجل حريص بطبعه على أن يجمل سمته في عين المرأة ، ويحسن صوته في أذن المرأة ، ويسوغ رأيه في عقل المرأة · والاخلاق المكتسبة تبتدىء بالتطبع وتنتهى الى الطبع ··

فاذا لم تصبح المرأة في البهو عطر المجلس ؛ وعلى الطعام زهر المائدة ؛ وفي النادى روح الحديث ؛ وفي الحفل مجمع الأفئدة ؛ فهيهات أن يكون لنا مجتمع مهذب وحياة طيبة وأسرة سعيدة » ·

***

وقع هذا القول من الجنسين البارز والمستتر موقع التسليم والرضا · ولكن نفرا قليلا من صالحي الاخوة كانوا لا يزالون يرون ان اقصاء المرأة عن المجتمع أمر من أوامر الدين وقاعدة من قواعد الخلق، فكتبوا الى الرسالة والى بعض الصحف يفندون هذا الرأى بحجج انتزعوها من أحاديث الظنون وهواجس الخوف ومواضعات العرف ، وكان من بين الرسائل المؤيدة رسالة باللغة الفرنسية وردية الغلاف أنيقة الورق جيدة الخط رائعة الأسلوب ، في رأسها (المعادى) وفي ذيلها (حياة) · قرأتها فاكبرت الادب الذى صدر عن هذه النفس ، والثقافة التي ظهرت في هذا الأدب ، ورأيت ان أناقش الكاتبة في هدوء المنطق وأعاتبها في حدود الرفق · ولا أقول انى أصطنع القول اللين والحجاج الهين لأن ذلك واجب

الرجل في خطاب المرأة ، فان الآنسة أو السيدة تقول في رسالتها ما ترجمته :

« ··· وما اعترفت منذ عرفت الرجل وسبرت قواه في مطالعاتي ومشاهداتي أن له من مزايا الفطرة ما يجعله قيما على المرأة · وان من عوان نفسي على أن أقبل منه العطف لأنى ضعيفة ، أو اللطف لأنى امرأة » ·

***

شغلت الكاتبة الصفحة الأولى من كتابها بتقريظ الرسالة وكتابها ؛ ثم قالت :

« ··· ليس قصدى من كتابة هذه الكلمة أن أكون معك أو عليك فيما كتبته موفقا عن المرأة ، فاني أعتقد أن هذه المسألة لا تتعلق الا بنا ولا يكون الحكم فيها الا لنا ، وما دخول الرجل فيها الا أثر من اعتقاده القديم أن في يده زمام هذا الجنس المنكوب يرخيه ويشده على هواه · والامر لا يخرج عن كونه نظاما طبيعيا يجرى على سنة الحياة من هيمنة القوة على الضعف وطغيان الاثرة الباغية على العدل الذليل · فحرية المرأة كحرية الأمة سبيلها العمل وحجتها القوة · أما الدفاع بالقول والاقناع بالحق فأصوات مبهمة كزفيف الريح المحبوسة في مخارم الجبل لا تدل على الطريق ولا تساعد على الفرج · لا أقصد كما قلت أن أناقش رجلا في موضوع لا شأن له به، وانما أريد أن أقول لك ، اذا كان رأيك في المرأة هذا الرأى ، وعطفك عليها هذا العطف ؛ فلماذا حرمتها أن يكون لثقافتها مظهر في الرسالة بجانب ثقافة الرجل ، فان من يقرأ الرسالة في غير مصر يظنها تصدر عن بلاد كبلاد (الاسطورة الصينية) ليس فيها امرأة » ·

سأنزل في الجواب على ارادتك يا آنستي (حياة) فلا أخوض معك في حديث المرأة ، ولا أعتب عليك في انتقاص الرجل ما دام الفصل في خصومة الجنسين للطبيعة لا لأحدهما ·

***

سأقصره اذن على ما أخذته على الرسالة من اغفالها ثقافة المرأة · ونحن في ذلك انما نجرى على مذهبك

الذى ارتضيته وأعلنته ، فلم نرد أن يتحدث الرجال عن شئون النساء الخاصة ، وفتحنا الباب ومنعنا أن يدخل منه غير أهله . ثم انتظرنا أن يصل اليه شيء يدل بقيمته وقوته على النهضة النسائية ، فلم يأتنا بعد تسعة أعداد من الرسالة الا كتابك هذا . وقد قبلناه موضوعا ورفضناه شكلا ، لان كتابتك اياه بالفرنسية الخالصة تدل على تلك الثقافة الشوهاء التى لا ترضاها الرسالة للفتاة . فهل تظنين أن العربية تقل جمالا فى الفم الجميل والقلم المذهب عن الفرنسية ؟ وهل تظنين أن جرس العربية يقل امتاعا فى الصالون وايقاعا فى النجوى عن جرس الفرنسية؟ وهل تعتقدين أن المصرية لا تكون حديثة النشأة ولا عصرية الثقافة الا اذا كتبت بالفرنسية او ارتضخت لكنة أجنبية ؟ ان المصارف والمتاجر والشركات وأرباب الامتيازات يحتقرون العربية لانها لغة الشعب . والشعب لا يزال من خدر الذل فى بلادة صماء يضيع فيها وخز الاهانة ، ولكنك يا سيدتى تسمين حياة ! وتشيرين فى كتابك الى حفظ القرآن واقامة الصلاة ، فكيف تسيئين بنفسك الى كرامتك ، وبيدك الى لسانك ...

***

لم تكد الآنسة تقرأ هذا الذى كتبت حتى أسرعت الى الجواب فى كتاب نشرته الرسالة فى عدد ١٥ يونيو من سنة ١٩٣٣ قالت فيه ما ترجمته :

« نعيت على أنى كتبت اليك بالفرنسية . والسبب فى ذلك بعيد كل البعد عن التظرف والحذلقة . والله يعلم وصواحبى يشهدن بما كان بينى وبين الراهبات المعلمات من الجدل العنيف كلما تعرضن لديننا بالغمز ، أو لتاريخنا بالعبث ، أو للغتنا بالزراية . انما أنا ومثيلاتى ضحايا لنظام مدرسى لم يقم الا لتعليم الفتى (ميكانيكية) الحكومة لان قيامه لهذه الغاية جعل من طبيعته اغفال أمر البنت فلجأ بها أولياؤها الى المدارس الأجنبية فنشأت هذه النشأة البتراء المشوبة ، لا تعرف عن دينها الا الشبه ولا من لغتها وأدبها غير القشور .

***

لو كنت كتبت اليك بعربيتى لحسبتنى طفلة تجمجم بالكلام ولا تبين . ويكون من وراء ذلك أنك لا تفهمنى ولا تفهم عنى ، فكتبت اليك بالفرنسية لان الانسان يميل بطبعه الى جهة القدرة لا الى جهة العجز ، ويؤثر بغريزته جانب الكمال على جانب النقص . ولئن تعرضت بذلك الى غضبك ، فقد نجوت ولله الحمد من سخرك ، وسخطك على أحب الى كرامتى من استخفافك بى . ما كان أسعدنى لو ملكت من لغتنا ما تملك فترجمت عن نفسى بمثل ما ترجمت عنى فى الفقرات التى نشرتها من كتابى !

***

أنا الآن أعالج فى نفسى هذا النقص بالدرس المستمر لآداب العربية . وتكاد الرسالة تكون الوسيلة الوحيدة لهذا الدرس ، فأنا أستوعب أبوابها المختلفة ، وأتذوق أساليبها المتنوعة ، ويخيل الى أنى قطعت الى غايتى مرحلة كبيرة . ولكنى أجد فى الرسالة نفسها أن زعماء الكتاب لا يزال بعضهم ينقد بعضا فى مبادىء النحو وبسائط التركيب . فليت شعرى أأقنط من الدراسة أم أستمر ؟ » .

***

ولتسمح لى الآنسة الفاضلة أن أقف هنا فى ترجمة كتابها لأعجل بالنصيحة لها أن تستمر ؟ فان العربية لاطراد قواعدها فى القياس ، واتفاق تراكيبها مع الطبع أبسط اللغات نحوا وأقربها غاية ، ولكن آفتها منهاج سيىء ومعلم عاجز وتلميذ كسول !

وستقرئين فى هذا العدد بحثا فنيا فى ثقافة المرأة للآنسة أسماء ، وشعرا منثورا فى التصوف للآنسة ناهد ، فتجدين فى صياغتهما الحسنة وعبارتهما الفصيحة وأسلوبهما الرقيق مشجعا لك ومصدقا لى .

(للحديث بقية) **أحمد حسن الزيات**

الأب بسكو

للدكتور محمد أحمد خلف الله

راى فيما يرى النائم انه واقف امام منزله ومن حواليه نفر من الفتيان الذين يضجون ، ويصخبون، ويجادلون فى الله بغير علم . وانه حاول اسكاتهم ، واحتال عليهم فى ذلك بالترغيب تارة ، وبالترهيب اخرى ، ولكنهم لم يرتدعوا . وان شيخا وقورا مهيبا اقترب منه ونصحه بان يسلك مع هؤلاء الصاخبين مسلك اللين ، وان يرفق بهم اذ لعلهم ان ينقادوا اليه . وانه امتثل أوامر ذلك الشيخ . ولم يكن بالعجيب أن يرى فى الحلم وحوشا ضارية قد استحالت الى خراف وديعة . وان يسمع فى الحلم صوتا رخيما تترنم به عذراء تقول له : خذ عصاك وامض بهم الى المرعى .

وفى الصباح قص رؤياه على اخويه ، وعلى امه . وطلب اليهما تفسيرا او تعبيرا لما راى ، واجابوه اجابات مختلفة . فقال اخوه الكبير انك ستكون راعى غنم وبقر . وقال اخوه الاكبر . انك ستكون زعيم عصابة ، وقالت جدته لأمه هذه اضغاث احلام ، وقالت امه لعلك يا بنى تصير كاهنا .

استقر فى ذهنه هذا التفسير الاخير واطمانت نفسه الى أن يصير كاهنا . ولكن قامت فى نفسه ازمة جاءته من وضعه الخاص . فهو فقير معدم لا يملك من حطام الدنيا شيئا ، وهو يتيم لا يجد الى جانبه من يعوله ، فاخوته يعملون لأنفسهم ويضطرونه للعمل مع صغر سنه ، وامه التى تحبه وترعاه وتحنو عليه لأنه طفل صغير لا تملك من المال ما يشجع على أن تبعث به الى المدارس الدينية ليدرس على الكهنة ثم يتخصص فى شئون الكهنوت .

لقد كان هذا النوع من التعليم بالمجان ولكن النفقات التى ينفقها التلميذ على نفسه تخصه وحده أو تخص اسرته . انه الذى يدبرها والا ظل جاهلا يتحكم فيه غيره ويستغله الاغنياء والمتعلمون .

كان رد الفعل قويا فتحطمت احلامه ، واصابه من الهم ما جعله حزينا كاسف البال ، واقلق هذا الوضع امه التى تجعل منه قرة عينها ، وعرف الناس من اهل القرية عنه ذلك فاخذوا يتندرون عليه لانه فى عرفهم يطلب ما ليس له اهلا ؛ واخذ اخوه الاكبر انطوان يعامله بشدة ليصرفه عن ذلك الحلم الذى ازعج الجميع .

وذات صباح عاد البشر الى نفسه والسرور الى قلبه ، ورآه الناس فرحا مغتبطا كان لم يكن قد اصابه من الهم شيء وعجب الناس من أمر هذا الصبى الذى انقلب حاله فيما بين يوم وليلة . وتقدم منه صديق له يساله الخبر .

ــ مالى اراك اليوم فرحا مسرورا وقد كنت من قبل قلق البال مضطربا ؟ ماذا جرى لك ، وما الذى حولك من حال الى اخرى مغايرة ؟

ــ الآن ايقنت انى ساكون كاهنا .

ــ وكيف تم ذلك ؟

ــ لقد رايت فى هذه الليلة حلما سلانى ، وعزانى ، وجعلنى اعتقد اعتقادا جازما بانى بالغ درجة الكهنوت لا محالة . لقد رايت فى الحلم سيدة جليلة ، مهيبة ، ترعى قطيعا كبيرا ، قد اقبلت على ، ودعتنى باسمى ، وقالت لى : يا ابنى يوحنا . انى اسلم هذا القطيع اليك لتعنى به ، ولترعاه الرعاية الكاملة . وانى اجبتها قائلا : ما العمل يا سيدتى وهو قطيع كبير من خراف ونعاج ؟ انه يحتاج الى حراس كثيرين . وكيف السبيل يا سيدتى الى العناية به وانا انسان فقير لا مرعى لى ؟ انى لا اعلم الى اين اذهب به . وانها ختمت حديثها معى بقولها : لا تخف يابنى فانى اسهر عليك واساعدك .

ان هذه الرؤيا هى التى بعثت فى نفسى السرور والانشراح ، واكدت فى قلبى الأمل بان ساكون كاهنا صالحا ترعاه وتسدد خطاه امنا العذراء ــ ام يسوع عليه السلام .

لقد كانت الرؤى والأحلام هى الوقود الدائم الذى يحرك امكانيات هذا الصبى نحو المجد ، ويسدد خطاه فى كل سبيل يسلكه . ثم انها التى خلقت فى نفسه ذلك الايمان القوى العميق بانه محقق امله، وبالغ من الحياة كل مايريد ــ ومن هنا كان احتماله لهذه المشاق التى عاناها ، والصعاب التى تخطاها . وكان تحقيقه لهذه الآمال العريضة التى حققها فى كل ارجاء العالم .

لقد تفتق ذهنه الصغير عن حيلة اصبحت له فيما بعد سنة فى الحياة ، وطريقة فى المعيشة . لقد كانت له عمة تخدم فى بيت احد الكهنة . وراى هو أن يعرض عليها مساعدتها فى خدمة هذا الكاهن نظير ن يعلمه الكاهن القراءة والكتابة وبعض مسائل لدين . واستجابت العمة ، واستجاب الكاهن وكانت

تلك هي الخطوة الاولى فى سبيل المجد او فى سبيل التعليم ــ وكان عليه ، فى سبيل ذلك ، ان يقطع فى اليوم الواحد مسافة عشرين كيلو من المترات ، فيما بين القرية التى يقطنها والبلدة التى يسكن فيها هذا الكاهن .

ثم عن له ان يكون حيث تكون مراكز التعليم ــ حيث يكون الكهنة وتكون الأديرة . ولا خوف عليه بعد اليوم فقد عرف الطريق التى تمكنه من ذلك وهى ان يخدم الناس فى سبيل المسكن والطعام والكساء .

لقد خدم فى بيوت كثيرة ، وعند اناس مختلفين فى الحرف والمهن وفى الخلق والمزاج . ولقد افادته هذه التجارب كثيرا ، وجعلته من اصحاب الخبرة فى معرفة الحرف والمهن ، وفى الوقوف على اخلاق الناس .

لقد خدم عند رجال الدين من كهنة وقساوسة . وخدم عند اصحاب المهن الحرة والحرف اليدوية من حدادين ، ونجارين ، وخياطين ، واستفاد من كل ذلك ، وافاد غيره فيما بعد .

ولقد حكمت عليه الظروف فى بعض الاحوال فوقف فى الطرقات وعلى ابواب المؤسسات العامة يستجدى ويطلب المعونة . ولعله الى يكون من المفارقات التى لا يمكن اغفالها فى هذا المقام ان الظروف قد هيأت له مبلغا من المال ، مقداره ستة الاف فرنك ، على سبيل الوصية ، من احد رجال الكهنوت الذين اشتغل خادما عندهم ، ولكن قيمه الخلقية ابت عليه أن ينفرد بالمال من دون الورثة ، وحكمت عليه بأن يسلمهم مفتاح الخزانة وما فيها من اموال وان يمزق امامهم ما كتب الكاهن من وصية .

لقد علمه هذا المثل الطيب الذى ضربه له هذا الكاهن ، كما علمته ظروفه القاسية ان يكون رحيما بالبتامى ، بارا بالفقراء . كما علمته ان يهب وقته وماله ، وكل ما يملك من قيم روحية لهؤلاء الضالين المشردين من ابناء الأزقة والحارات . وكثيرا ما كان يقول لامه : انى متى صرت كاهنا فساجلب الى الاولاد ، وابدى لهم المحبة ، واجمع شملهم ، واسمعهم كلام الله الحى ، وأثابر على خلاص نفوسهم كما فعل معى الأب كالوسو ، واقتداء بسيدنا يسوع المسيح . وكثيرا ما كان يتمثل بهذه الآيات من الانجيل « ثم أخذ صبيا وأقامه فى وسطهم واحتضنه وقال للرسل . من قبل واحدا من هؤلاء الصبيان باسمى فاياى يقبل ! دعوا الصبيان يأتون الى ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله . »

لقد كانت مشاريعه الكبرى التى حققها فى كل انحاء العالم وليدة هذه الظروف القاسية التى مر بها ، وتلك التجارب الحية التى عاناها .

لقد علمته الحياة اشياء كثيرة افاد بها كل أولئك الذين تلفظهم الحياة . انه يردهم الى انفسهم ، ويردهم الى الحياة ، ويجعلهم القدوة الحسنة الصالحة فى كل جانب من جوانب الحياة .

اتم الفتى دروسه الابتدائية والثانوية على هذه الحال من الفقر المدقع ، ومن الخدمة فى البيوت والحوانيت ، ومن التسول فى الطرقات . واحرز الفتى نجاحا هائلا فى اللاتينية واليونانية ، والعلوم الرياضية . واصبح الطريق امامه ممهدا للالتحاق بالاكليريكية الكبرى ، ولكن الفقر قد لاحقه فى هذا الموقف . فهو لا يستطيع هنا ان يقوم بالخدمة فى البيوت والحوانيت لأن وقته لن يسمح ، من حيث انه ليس ماذونا له بالخروج . وهو هنا يفكر فى أمه التى قد اصابتها الشيخوخة ، والتى قد تحتاج الى معين .

ووقفت امه موقفا شجاعا ، وقالت له : **كن على ثقة تامة من انى لا اريد منك شيئا على الاطلاق . لقد ولدت فقيرة ، وعشت فقيرة ، واريد ان اموت فقيرة، وحسبى ذلك فخرا .**

وتكفل احد المحسنين بالنفقات فى السنة الاولى، أما فى بقية السنوات فتكفل بها تفوق الفتى وما حصل عليه من جوائز .

ويحسن بنا هنا أن نورد الكلمات التى تفوهت بها الأم عند الوداع ــ **لقد توشحت يا بنى بالثوب الاكليريكى ، وامتلأ قلبك غبطة أن تحققت أحلامك. فيجب أن تعلم علم اليقين بان الثوب لا يشرف الكهنوت ، فانما الذى يشرفه هو الفضيلة . واذا خامرك ريب فى دعوتك فرجائى ألا تلحق عارا بثوبك . انزعه عنك حالا . فانى اوثر أن اشاهد ابنى وقرة عينى فلاحا فقيرا من أن اشاهده كاهنا متهاونا فى تكميل فروضه . اعلم انى لما ولدتك ، ولما باشرت دروسك قد استودعتك الى عناية سيدتنا مريم العذراء فاوصيك اليوم أن تخصص نفسك كلها بهذه الأم الحنون .»** .

قضى الفتى ست سنوات كاملة فى الاكليريكية الكبرى . صرف منها سنتين فى دروس الفلسفة وأربع سنوات فى دروس اللاهوت . وكان فى جميع

سنى الدراسة قدوة صالحة ومثالا حسنا . وكان يؤمن ايمانا جازما بأن لا تناقض بين الدين وبين الحضارة والمدنية فكان بذلك انموذجا فريدا لرجال الدين ، وتمكن بذلك من محاربة البدع ، ومن ترسيخ القيم الدينية والروحية فى انفس المعاصرين .

تخرج الفتى سنة ١٨٤١ . وارتقى الى الرتبة الكهنوتية حسب الطقوس والمراسم المعهودة ، وازدحم الناس الذين عرفوا صفاته الطيبة فى كنيسة مارفرنسيس ليحضروا قداسه، ويسمعوا موعظته . وكان الذى يشغل باله عند تقريبه القداس تلك الخراف المهملة التى راى فى المنام أن سيرعاها ويعتنى بها .

كانت تجربته الأولى مع تلك الخراف الضالة فى مدينة تورينو حيث كان يعمل بمدرستها الكنسية العليا فقد شعر منذ الاسابيع الاولى بالضلال الذى يتخبط فيه الأحداث القادمون من الارياف . فقد كانوا يسكنون فى محال قذرة ، وكان يسكن فى الغرفة الواحدة عدد من الاطفال يكفى لمنزل باكمله . وكانت اخلاقهم فاسدة بسبب اختلاط الجنسين معا .

وذات صباح سمع ــ وكان يتوشح بالحلة الكهنوتية ليقرب الذبيحة ــ قيم الكنيسة يصرخ فى وجه شاب ، ويتهدده بالضرب ، ويقول له : اخرج من الكنيسة والا اخرجتك قسرا . فاستدعى القيم وانبه على فعلته تلك ، وطلب اليه أن يستدعى الشاب ــ وحين حضر حدثه حديث أب حنون حتى هدأ روعه واطمأن اليه .

كان هذا الفتى طليعة جماعة اليتامى والفقراء الذين اعتنى بهم القديس يوحنا بسكو فقد اخذ هذا الفتى يجمع الخراف الضالة ، ويتقدم بها لهذا القديس الناشىء ليعنى بها ويرعاها .

ومرة ثالثة او رابعة او خامسة يعانى ضيق ذات اليد . انه فى هذه المرات يعانى من اجل هذه الخراف الضالة التى يزداد عددها حتى بلغ المئات . ماالذى يفعله فى مقامها وفى الانفاق عليها ؟

لقد بدأ دعوته بجمع التبرعات وباسكانهم فى محلات لا يسكنها عادة الا الحيوانات ، وكان الاهالى يضيقون بالقديس وبابنائه من اليتامى والفقراء من اجل ذلك الضجيج الذى يحدثونه ، وتلك المشاجرات التى يقومون بها . واحتمل القديس بسكو كثيرا من الاهالى ومن الخراف الضالة . ونجح القديس بسكو فى تحقيق اغراضه فأقام فى كل انحاء العالم الأديرة والمؤسسات التى تخدم ابناء الطرقات الذين لفظتهم الحياة . اقامها ليعلمهم الدين ، ويعلمهم الحرف ، ويجعل منهم القدوة الحسنة لصلة رجل الدين بالحياة .

وكثر اتباع الرجل ممن تخرجوا على يديه أو على يد تلامذته وانتشروا فى الارض يتممون رسالته . وفى ارضنا الطيبة اقاموا المعاهد تيمنا باسم هذا الرجل ــ دون بسكو ــ اقاموا هذه المعاهد بالاسكندرية وبالقاهرة وبالاسماعيلية وبالسويس وببورسعيد .

وفى ارضنا العربية اقاموا كثيرا من المعاهد ــ اقاموها فى دمشق وحلب وفى بيروت وفى الناصرة ، وبيت لحم وبيت جمال . وفى حيفا ويافا والقدس الشريف .

لم يسلم للرجل عمله وانما كاد له الكائدون ، كاد له رجال الدين حسدا وكاد له رجال الدنيا خوفا .

لقد كانت ايطاليا فى ايامه تتحرك نحو الوحدة ، وتسعى للتخلص من النمساويين . وجند الرجل الكثير من هؤلاء الذين آواهم ودربهم على حمل السلاح وعلى النضال من اجل الاستقلال . وكان من الممكن أن يحمد له ذلك ولكن رجال السياسة وبخاصة المركيز دى كافور حسبوا عليه ذلك فلقد كانوا فى صراع مع البابا ، وكانوا يخشون أن يقف الى جانب البابا ومن هنا كادوا له ــ وان لم يصلوا فى كيدهم الى حد القضاء عليه .

ولد يوحنا بسكو سنة ١٨١٥ وتوفى سنة ١٨٨٨ . ووقف حياته كلها على تثقيف الشبان اليتامى ، واغاثة البائسين .

لقد اسس رهبنتين احداهما للرجال والثانية للنساء . الاولى رهبنة الآباء السالسيين . والثانية بنات مريم . ولهاتين الرهبنتين الفضل كل الفضل فيما نشأ بعد ذلك من مدارس ومعامل ومصانع وميائم ومستشفيات ومزارع تثقف فيها الكثيرون من اليتامى والفقراء حتى لقد بلغ العدد الوف الالوف .

رحم الله هذا الرجل وجعله قدوة حسنة لكل من يعنى باليتامى والفقراء ، وبالاطفال المشردين ، وبكل من ليس له أب يحميه وبيت يأويه .

دكتور محمد أحمد خلف الله

التراث العربي
أسباب الاعتداد به

للدكتور حسين نصار

يتبادر الى الذهن ـ حين نطلق عبارة « التراث العربى » أو « الثقافة العربية » او ما ماثلهما من عبارات ـ صورة التراث العربى الاسلامى . ولكن ذلك تصور قاصر بل جائر ، لانه يغمط العرب حقهم فى تراث آخر قديم قديم ، يضرب فى الأزمنة السحيقة ما ضربت ما نعرف من حضارات شرقنا القديمة .

فالمؤرخون يقسمون العرب الى جنوبيين وشماليين . وعنوا بالجنوبيين اهل اليمن ، وبالشماليين أهل الحجاز ونجد . وقد كان العرب أنفسهم يذهبون الى مثل هذا التقسيم ، وان اختلفت التسمية والتطبيق . فقد اطلقوا على اليمنيين اسم القحطانيين ، وعلى الشماليين القيسيين او النزاريين او ماشابه ذلك من اسماء . ولم يفرق العرب فى هذه التسميات بين اليمنيين المقيمين فى اليمن واليمنيين الذين هاجروا منها واستقروا منذ ازمنة قريبة او بعيدة فى المناطق الشمالية وبين اهل الشمال . بل نقلوا معهم هذه النظرة المفرقة بين يمنى وغير يمنى الى الأقطار التى استقروا فيها بعد الاسلام . وكان ذلك من اهم عوامل ذهاب دولتهم ان لم يكن اهمها اطلاقا .

ولكن المؤرخين لا يخضعون لنظرة العرب تلك حين يقسمون العرب تقسيمهم ، وانما ينظرون الى اعتبارات شتى . وربما كان اهمها ان اهل الجنوب كانوا حضرا وأهل الشمال كانوا بدوا ، وان اهل الجنوب استخدموا لغة عربية تختلف عن لغة اهل الشمال ، التى نعرفها نحن بالعربية الفصحى ، وان جمعت بينهما العائلة السامية ، وقرب بينهما من بين أفراد تلك العائلة الجوار والاتصال ، فكانتا لهجتين أكثر منهما لغتين .

وعرب الجنوب .. كانت لهم حضارتهم الموغلة فى القدم ، بل التى تعاصر حضارة الفراعنة فى مصر ، والأشوريين فى العراق ، والفينيقيين فى سورية ولبنان . فلا عجب ان قدمت القول باننا نجور على العرب حين نقصر تصورنا لتراثهم وحضارتهم على ما كان لهم فى الشمال ، لأن ذلك يسلبهم قرونا مزدهرة كانت لهم قبل الميلاد وبعده .

وعلى الرغم من كل ما قلت ، فحديثى ينصب على التراث العربى الشمالى . لاننى لست العارف بلغة اهل الجنوب العرب ، ولا الدارس لحضاراتهم ، فلست القادر على التحدث عنهم .

والتراث العربى الشمالى حديث العهد ان قارناه بالتراث العربى الجنوبى . ولكننا اذا تركنا هذا الأخير ، وجدنا تراثنا من أقدم ما نعرف من تراث الأمم . فاننا اذا استثنينا الصين والهند ، لا نكاد نعرف تراثا قديما لازال حيا باقيا مثل تراثنا . فالثقافات الفرعونية والأشورية والفينيقية والاغريقية واللاتينية امتد بها العمر زمانا ، ولكنها بلغت الهرم ثم لفظت أنفاسها ولم تعد الى حياة ، وليس كذلك ثقافتنا .

ونحن اذا نظرنا الى تراثنا الأدبى وجدنا المؤرخين يرجعون به الى الجاهلية أو ان شئنا الدقة ـ ماسموه ـ الجاهلية الثانية ، وهى التى قدروها بمائة أو مائة وخمسين عاما . فهذا التراث اذن انقضى عليه قرابة خمسة عشر قرنا . ولازال حيا ، بل لا زال فى عنفوان حياته ، يغالب كل ما يولد بعده ، ويغلب كثيرا منه .

ولا اعنى بحياته انه لازال يدرس فى مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا ، فليس ذلك من امارات الحياة فى شىء . بل اعنى ان ديوان الشعر الجاهلى او الأموى او العباسى يقبل عليه الناشر اكثر من اقباله على غيره من دواوين ، ويطبع منه النسخ التى تفوق غيره من كتب فى العدد ، واتقا ان القارىء العربى مسرع الى شرائه . وأعنى أن العربى المعاصر ـ سواء كان اديبا او ناقدا أو متذوقا ـ لازال يعجب ويتأثر ـ واعيا وغير واع ـ بهذا التراث القديم . لا انكر ان القدماء اعجبوا بقصائد وصور ربما لا تعجب المعاصرين ، وعللوا اعجابهم بعلل قد يختلف معهم فيها المحدثون ، ولو اتفقوا فيما نال منهم الاعجاب . ولكن من لا يرضون منا عما رضى عنه القدماء ، يعجبون بقصائد وصور اخرى ، هى من ابتكار هؤلاء الشعراء القدماء .

فان تركنا تراثنا الشعرى الى العلمى ، اضطررنا الى ان نرتضى التقسيم القديم الى علوم نقلية وعقلية . واحب ان اسمى الأولى بالعلوم القرآنية ، واتسع بهذه العبارة فاجعلها تشمل كل ما كان القرآن سببا فى الحديث فيه من علوم ، مثل التفسير وما اتصل به من فروع ، والفقه ، والعربية (اللغة والنحو) . واضيف اليهما الحديث والتاريخ . ان

وضعنا امامنا هذه العلوم ، وجدنا العرب شرعوا فى تناولها منذ اواخر القرن الهجرى الأول واوائل الثانى . وربما وجب علينا اضافة علم الكلام من العلوم العقلية اليها . فتراثنا العلمى اذن يمتد به الزمن نحو ثلاثة عشر قرنا .

وتراثنا لا ينفرد – بين أصناف التراث القديم – بامتداد الزمن به ، بل بانفساح المكان له ايضا . فقد شاركت كل الأقطار التى حل بها العرب فيه ، واتى عليها حين من الدهر كانت من عواصمه او عاصمته . كانت مكة والمدينة كذلك ، ثم كانت دمشق والبصرة والكوفة ، ثم كانت بغداد ، ثم كانت الفسطاط وحلب والقاهرة ومدن المغرب والأندلس . بل لا استطيع أن أذكر مدينة من المراكز التى ازدهر بها الوان من التراث العربى . ولم يقتصر الامر على الأقطار العربية التى تغلبت اللغة العربية على لغتها ومحتها ، بل تعداه الى الاقطار غير العربية التى انضمت الى حوزة الاسلام، واتخذت لغته لغة اولى لها أو ثانية ، مثل ايران وافغانستان وما وراء النهر وتركيا وكثير من الدول الاسلامية التى قامت فى اواسط افريقية وغربها وشرقها .

وكان هذا التراث اهم عامل فى بقائنا وعدم ضياعنا . فبينا نجحت اللغة العربية فى التغلب على اللغةاللاتينية واليونانية فىالاقطار التى كان الرومان يحتلونها ، وعلى اللغة الفارسية فى العراق بل فى فارس نفسها ، وعلى اللغات المحلية فى العراق والشام ومصر والمغرب الأكبر، وظهرت على الاسبانية فى الأندلس ، بينا نجحت العربية فى ذلكلم تستطع لغة اخرى ان تجد مثل هذا النجاح او قريبا منه فى الأقطار العربية ، بالرغم من الجهود العنيفة . فقد حاول الاتراك ما حاولوا أن يصبغوا كل شيء فى الأقطار العربية بالصبغة التركية ، وان يفرضوا لغتهم عليهم ، فلم يتعد ذلك دائرة الحكام ، على الرغم من رابطة الاسلام بين العرب والترك . وأقرب الأمثلة على ذلك لغة المصالح الحكومية ، والقرارات الحكومية ، فى مطلع القرن التاسع عشر ، وماحاوله الاتراك من فرض الاسماء التركية على تلاميذالمدارس من العرب المصريين .

وبذل الغربيون الجهد فى التغلب على العروبة وما اتصل بها ، كل فىالقطر العربىالذى استعمره. انجلترا فى مصر والعراق والسودان وامارات الخليج لعربى ، وفرنسا فى الشام وتونس والجزائر والمغرب ، وايطاليا فى ليبيا . ولست فى حاجة الى ضرب مثال على ما فعلت فرنسا فى الجزائر بخاصة، فكل ما فعلت لازال ماثلا فى اذهاننا . ولم تنفرد الجزائر بما نالت من فرنسا ، ولكن نصيبها كان اعظم من اختيها . ولكن المحاولة كانت هنا وهناك ، ولازالت الاقطار الثلاثة تعانى منها . وانجلترا فصلت فى السودان مابين شمال وجنوب ، وقالت بعرب وزنوج لا يجتمعان ، ووطدت عوامل الخصومة والتفرقة بينهما ، وحرمت على عرب الشمال الدخول فى الجنوب آنا ، وحين اضطرت الى الترخص فى ذلك، منعتهم من الصلاة العلنية والتخاطب بالعربية امام الجنوبيين، ليبقوا علىجهل بالاسلام والعروبة. وفى مصر فرضت على المدارس ان تعلم جميع المواد باللغة الانجليزية، ولم يستطعالمصريون أنيتخلصوا من هذا الاسار ، ويتروحوا نسيم العربية فى التعليم الا بعد جهاد .

لم تفلح جهود المستعمرين اذن فى الأقطار العربية ، لما يضمه التراث العربى من عوامل البقاء ، ولما عمقه من جذور فى تلك الأقطار . اما فى غيرها من الأقطار البعيدة عن المنابع العربية الصافية ، كدول اواسط افريقية وغربها التى اشرت اليها آنفا ، فقد لقى فيها نجاحا اعظم . ولكن بعضها تنبه اليوم – وقد حصل على استقلاله – الى ماضيه القريب ، ويبذل جهودا متعثرة الى معاودة الاتصال بالأقطار العربية . ولعلها تتنبه الى تلك الجهود ، وتسرع اليها لتلتقى بها ، وتمدها بأسباب القوة والنماء .

وتتجلى منعة التراث العربى وحفظه لنا من الضياع فى اختلاف تأثر أجيال المجتمع المصرى بالحضارة الغربية ، فقد كان امام هذه المجتمعات طرق ثلاثة لتسلك احدها : اما أن تتوقع – ان صح هذا التعبير ، اذ تحس بالخطر الداهم فى هذه الحضارة ، وانه لا قبل لها بمغالبتها ، فما عليها الا ان تغطى نفسها بالأصداف السميكة التى تعزلها عنها وتحميها منها ، وأن تتعلل بما شاءت التعلل به، من سمو التراثالعربى ، وأخلاقيته، وروحانيته؛ وفقدان ذلك فى الحضارة الغربية . او أن تنبهر بأنوار تلك الحضارة فتظلم اعينها عما للتراث العربى من مزايا ، وتحتقره ، وتطرحه، ولا تجد ما تتغنى به غير الانوار الغربية . أو الا تحس فرقا ولا انبهارا ، وتجد فى نفسها القوة لتضع الحضارتين امامها ، تتأمل فيهما بعين فاحصة دارسة ، لتصل الى خير

ما فيهما ، فتأخذه وتدعو الى التحلى به . وقد وجد كل طريق من الطرق الثلاثة من يسلكه فى كل جيل من اجيـال المجتمع المصرى منذ كان لنا بالغرب اتصال . ولكنى اقصر الحديث على الظواهر العامة لا الفردية . ان فعلنا ذلك وجدنا عجبا .

وربما كان النظر العقلى يميل الى ان الجيل الأول فى الاتصال هو الذى انبهر ، أو تفوقع . ولكن ذلك غير صحيح . ونسرع الى القول بأن التقوقع لم يحدث من جيل من الأجيال التى اتصلت بالثقـافة الغربية ، وانما حدث ممن لم يتصل بها اتصـالا مباشرا ، ومن أفراد من المتصلين بها اتصالا مباشرا ، فلا حديث لنا اذن على هذا الطريق .

كذلك لم ينبهر اول المتصلين منا بالثقافة الغربية ، بل كانوا الأقوياء الذين سلكوا الطريق الوسط . وعادوا الى مصر فدعوا الى النهوض ، والى الأخذ من التراث الغـربى ، والى احيــاء التراث العربى القـديم . كانوا دعاة النهضة الحديثة وروادها . وكانوا جميعا من الذين حصلوا على قسط من التعليم الدينى العربى القديم قبل سفرهم الى الخارج ، لأنه كان اللون الوحيد الموجود بمصر من التعليم .

ثم أنشئت المدارس المدنية ، وتخرج منها تلاميذ لم يحصلوا على ما حصل عليه آباؤهم من ثقـافة عربية خالصة ؛ وبخاصة بعد الاحتلال الانجليزى . واذا بهذا الجيل ، يخلف ماكان يرجو آباؤه ، ولايرى غير أنوار الغرب ، وتنقطع الصلات بينه وبين البيئة العربية التى يعيش فيها ، لأنه يحتقرها ويزدريها . فيطرحها وتطرحه . ويبدو الضياع على ذلك الجيل فى كل مظاهره . ينتشر بينهم السخط والتشاؤم ، فيؤدى بهم الى الهروب : الهروب المادى : بالانتحار ، الذى انتشر كثيرا بينهم أو بالامتناع عن الزواج ، والهـروب الأدبى : بادمان المخـدرات وبخاصـة الـكوكايين الذى اقبـل عليـه المثقفون والـكبراء (الضائعون) اقبالا شديدا لافتا للنظر ، كل ذلك الى جانب الأفكار غير المتأصلة التى كانوا يحملونها . وذلك هو جيل السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر ، والأولى من العشرين .

فتراثنا العـربى حين كان متأصــلا عند رفاعة الطهطاوى وعلى مبـارك وعمر مكرم وأحمد عرابى ومحمود سامى البارودى وعبد الله النديم ، منحهم القوة والقدرة على التمييز بين الغث والسمين ؛ فكان ســـببا لاحتفاظهم بشخصيتهم وعدم ضياعهم . وكانوا هم الممثلين الحقيقيين للشعب العربى المصرى .

ولم يحافظ تراثنا على بقائنا عربا ، بل انه يدعو الى وحدتنـا . فاللغة العربيـــة تجمع بين اقطار العروبة فى آســيا وافريقية ، ينتقل العربى من الخليج الى المحيط فلا يحتاج الى وسيط لتفاهم . والتراث العربى وحدة متجانسة على مر العصور ، وميراث مشترك لكل الأقطار . لا يستطيع الحجاز أن يدعى عمر بن أبى ربيعة ، أو العراق أبا نواس ، أو الشام البحترى ، أو مصر البهاء زهير ، أو المغرب الاكبر الشـابى ، أو غيرهم من شعرائنا وكتابنا وعلمائنا . فكلهم درس الادب العــربى فى جميع أمصاره دون تفرقة ، وتأثر به دون تمييز ، وأثر فيه دون حدود . واكثرهم لم يقم فى قطر واحد ، بل عاش متنقلا بينهــا . وكان علماؤنا يرون الرحلة فرضا عليهم لا يغنى عنها شىء . وانظر فى كتاب رجال أى قطر عربى ، مثل تاريخ بغداد للخطيب أو تاريخ دمشق لابن عساكر أو المقفى للمقريزى فى رجال مصر ، أو نفـح الطيب للمقــرى فى رجال الاندلس . وحاول أن تميز فيهم بين البلدى ــ كما كان الجاحظ يقول أو ابن البلد كما نقول اليوم ــ وبين الوافد . انه العجب ، فلا فرق ولا تفريق . ولست أظننى مغاليا اذا قلت ان التراث أهم عوامل الوحدة بين الأمة العربية ، لأنه العنصر الذى يشترك فيه جميعهم اطلاقا .

وتراثنا العربى بدأ بداية عربية خالصة . ولكنه لم يعزل نفسه عما حوله من العالم الا فى عصــور الانحطاط . فقد احتضن كل ما عرفه العالم القديم من الوان المعرفة : الاغريقى منها والفارسى والهندى والصينى . وكان العرب يطلبونها من وفى بلادها . وكان ذلك سببا فى قول المتعصب علينا أن لا حضارة لنا ؛ وانما نحن حملة حضـارة الأمم . ومنذ بدء نهضتنا الحديثة نسعى الى طلب المعرفة فى كل مكان ، وبكل لغة . فهى سنتنا القديمة لا زلنا ندين بها ، ونتبعها .

لا عجب اذن أن تكون منا دعــوة الى الحفاظ على تراثنا القديم واحيــائه ، وأن تتكرر الدعــوة ، وتتصل ؛ لأنهـــا دعــوة الى بقائنا ، ووحدتنا ، ونهضتنا .

د . حسين نصار

صفحات مطوية من تاريخنا

بين عبد العزيز جاويش ورشيد رضا

للأستاذ أحمد الشرباصي

في تاريخنا صفحات كثيرة مطوية ، وهي تحوى الكثير من أمور هذا التاريخ ومعلوماته ، وتتمثل هذه الصفحات في الرسائل التي تبادلها أعلامنا وأدباؤنا ومفكرونا ، ولم يتح لها النشر او التقييد ، مع أن نشرها يلقى أضواء مختلفة على التاريخ ورجاله ، وقد عثرت على ثلاث رسائل بخط المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش كتبها وهو في انجلترة الى صديقه المرحوم الشيخ رشيد رضا . وعبد العزيز جاويش كان علما من أعلام عصره ، فهو زميل مصطفى كامل ومحمد فريد وأمين الرافعي ، وهو تلميذ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده . وهو كاتب أديب صحفي خطيب ، وقد عمل في ميدان السياسة المصرية والعربية والاسلامية ، وجمع بين الثقافتين الازهرية والانجليزية ، حيث قضى في جامعة اكسفورد سنوات يعلم العربية ويتعلم ألوانا من الثقافة .

وقد أصدر عددا من المجلات ، كما ألف عددا من الكتب منها « الاسلام دين الفطرة » ، « ارشاد المعلمين » ، « خواطر في التربية » ، « اثر القرآن في تحرير الفكر البشرى » الخ . وتوفى سنة ١٩٢٩ م .

***

والسيد رشيد رضا كان أيضا علما من أعلامنا ، وهو أبرز تلاميذ الاستاذ الامام ، وناشر علمه بين الناس ، ومؤرخ حياته بكتاب ضخم ، وهو صاحب مجلة « المنار » المعروفة ، و «تفسير المنار» المشهور ، وقد اشتغل بالسياسة العربية والسياسة الاسلامية ردحا طويلا من الزمن ، وألف كتبا كثيرة منها : «الوحى المحمدى» ، « الخلافة الاسلامية » ، « المنار والازهر » ، « نداء للجنس اللطيف » ، « الوحدة الاسلامية » ، « يسر الاسلام » ، «السنة والشيعة» ، «ذكرى المولد النبوى» .. الخ ، وقد توفى سنة ١٩٣٥ م .

وكان بين جاويش ورشيد علاقة طويلة المدى بحكم اشتراكهما في التلقى عن الشيخ محمد عبده ، وفى العمل في حقل العروبة والاسلام ، وفى الكتابة والتاليف ، وفى الاشتغال بالصحافة ، وكانت هذه العلاقة تنتقل أحيانا الى ميدان المنافسة ، فقد أصدر السيد رشيد مجلة « المنار » ، ثم أصدر الشيخ جاويش مجلة « الهداية » ، وكان بين المجلتين تنافس وتسابق ، وتفصيل الحديث عن هذه الناحية يحتاج الى مجال خاص .

***

وحينما كان الشيخ جاويش في اكسفورد تراسل مع السيد رشيد ، ومن رسائل جاويش الى صاحبه هذه الرسائل الثلاث التي أشرت اليها ، وهى تعطينا معلومات عن النواحي الأدبية والاجتماعية والسياسية والدينية في مطلع هذا القرن الذى نعيش فيه ، وتشترك الرسائل الثلاث في الاشارة الى الاستاذ الامام ، مما يدل على قوة تأثيره في قومه ، وسطوع نجمه في وطنه ، والرسالة الاولى منها تجنح الى التعبير بالعامية . وكان هذه تجربة من الشيخ جاويش على سبيل الدعابة أو المفاكهة ، بدليل أن الشيخ كان ممن يغارون على الفصحى ، ويجيدون الكتابة بها ، كما سنرى في الرسالتين الآخريين ، وفى هذه الرسالة الاولى اشارة الى الشيخ على يوسف صاحب « المؤيد » وحادثته مع الشيخ السادات التي هزت المجتمع في وقتها ، ويأخذ جاويش على رشيد أنه لم يهتم بهذه الحادثة كما ينبغى .

ثم يشير الى بعض التعبيرات العامية الواردة في الرسالة مما يذكره بمجلة « الحمارة » الهزلية العامية التي صدرت بالقاهرة سنة ١٩٠٠ ، وهذا نص الرسالة :

« ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٠٤

صديقى العزيز السيد محمد رشيد

نهارك سعيد ياحضرة . أنا متشكر لك جدا على همتك العالية يابو أحمد — استلمت هذا اليوم الطرد المحتوى على أعداد المجلة والكتب التي سبق لى طلبها — منذ بضعة أيام جاءنى كتاب من أمين افندى هندية يخبرني فيه بأنه ارسل كتاب « أقرب الموارد » بالبريد حسب تعريف حضرتكم .

* * *

نهايته انا مش اشكرك على ايه ولا ايه . سأرسل لحضرتك غدا شيئا من النقود اما بواسطة البريد أو بواسطة البنك الاهلى لتاخذ منها قيمة اشـــتراك (المنار) عن السنة التى أوشكت أن تنقضى ، أعنى المنتهية بشهر سبتمبر سنة ١٩٠٤ م وكذلك تاخذ منها ثمن الكتب التى تفضلت فارسلتها ، ثم تتفضل بعد ذلك بارسال ١٦٢ قرش صاغ لحضرة أمين افندى هندية ، ثم ترسل بالباقى الى رجل بالسكة الجديدة يبيع الشاهى والقطنى يقال له سالم ، يعرفه معظم اخواننا .

دعنا الآن من الفلوس والشغل ازاى حال الشيخ على يوسف بعد النار الحامية التى رمى بنفسه فيها فى الأيام الأخيرة . مالى أراك يابو أحمد لم تبد رأيك فى المســـألة ، فاننى تصفحت الاعداد فلم أجد الا كليمات قليلة .

تفضل الاستاذ الاكبر فكتب الى منذ بضعة أيام . أطال الله وجوده ، ونفع العالم الاسلامى بهديه آمين .

لعل فى امكانك أن ترســـل الى نسخة من كتاب الاستاذ الشيخ حسين والى فى الاملاء ، فاننى أحب ان أطلع على ما كتب حضرته فى هذا الموضوع . قد سمعت منذ اسابيع أنه قد اعترى الاســـتاذ الشيخ عبد الرحمن زغلول بعض مرض ، ولم أسمع بعد كلمة فى شأن مرضه ، فلعله أبل منه . أتدرى أيها الأخ أنه عزم على العودة الى مصر فى هذا العام ، كتب الله له السلامة فى حله وترحاله .

ايش رأيك فى الانشاء اللى فى الجواب ده يا عم الشيخ رشيد ؟ أظن يمكننى بالراحة أنى أخلف صاحب (الحمارة) ، لكن فى الغالب لابد لى من بعض تمرين . وفى الختام ارجو أن تكون بخير ، كما أرجو أن تتقبل سلام أخيك .

عبد العزيز شاويش

***

والرسالة الثانية من انجلترة أيضا ، وتاريخهـا ١٣ رمضان سنة ١٣٢٣ هـ وهو يقابل نوفمبر سنة ١٩٠٥ ، وفيهـــا يتحدث عن ألمه لوفاة والد الشيخ رشيد ، ويعود الى ذكر الاستاذ الامام ، وأن المصيبة فيه هونت كل مصيبة ، ونلاحظ أن هذه الرسالة على الضد من الرسالة السابقة ، فالرسالة التى معنا الان ليس فيها للعامية نصيب ، وهذا نصها :

١٣ رمضان ١٣٢٣ هـ

أخى الفاضل السيد رشيد

قرأت فى منار شهر شعبان خبر وفاة والدكم على اثر ما اصابه من تلك الحكومة الظالم أهلها ، فرأيت أن أبادر بتعزيتكم فى ذلك المصاب الجليل رزقكم الله الصبر الجميل والثواب الجزيل . هذا واعلم أيهـا الاخ أن اختفاء ذلك النبراس نبراس الهدى أستاذنا الامام هون على المصائب ، وحقر فى عينى العظائم ، فلا تكاد ترمينى يد الدهر بنائبة الا وأنا موطن النفس على احتمالها ، ثابت الجاش عند نزولها ، ولا أظنك الا كذلك ، فلنغفر للزمن كل نوازله، ولنترك التفجع والتوجع للقلوب خالية ، والسلام من أخيك .

عبد العزيز شاويش

سيدى : قد شفعت كتابى هذا بوثيقة ببقايا دين على رشدى افندى ، فالمرجو الحصول على تلك البقية منه ، واحفظها قيمة الاشتراك فى السنة الماضية ».

واذا كانت هذه الرسالة أقصر من الرسالة الاولى، فان الرسالة الثالثة قد امتد نفسها وطالت عنهما ، وفيهـــا يشير جاويش الى الدكتور ادوارد براون الانجليزى المدرس فى (كمبردج) والذى اتفق مـع رشيد على ترجمة كتابه فى تاريخ الاســـتاذ الامام وبعض آثاره الى الانجليزية ، ثم يتحدث شاويش عن رجل أحسن اليه وعاونه ، ولكن هذا الرجل تنكر للجميـــل وانقلب كالحية الرقطاء ، ثم يتحدث عن الاصلاح الذى قام به الشيخ محمد شاكر فى الازهر الشريف ، ويؤيد ذلك الاصلاح ، ويشرح لرشيد أنه مستمد من روح الاستاذ الامام ، ثم يشير الى أفاعيل المستشرقين ، والى أكاذيب مرجليوث فى حق النبى عليه الصلاة والسلام ، ويطلب من رشيد أن يرد على ماكتبه مرجليوث فى كتابه «محمد ونهضة الاسلام» .

***

وهذا نص الرسالة :

« ٢٢ يناير ١٩٠٦

حضرة الاخ العزيز

السلام عليكم ، وبعد فقد جاء كتابكم الكريم ، فاطمأننت به على سلامة صحتكم ، ولقد كتبت على

أثر وروده الى الاستاذ براون اساله عما عمل او ما سيعمل بما ارسلتموه اليه من آثار الاستاذ الامام رحمه الله ، فورد جوابه بالامس يذكر لى فيه أنه لم يترجم الاستاذ حتى الآن ، لا لعدم رغبته فى ذلك ، ولكن اجابة لطلبكم ، فانه يزعم انكم أشرتم عليه ألا يبتدىء عملا حتى ترسلوا اليه الكتاب الذى يتضمن ترجمة الاستاذ بالتفصيل • هذا ما كتبه الى•

عجبت جدا من مطل ذلك الانسان الذى آويته واقرضته وأمددته بما زاد على بعض العقود ، ثم رحلته الى بلاده ، ولم يكن معه بلغة ساعة من العيش ، حتى اذا جاء الى بلاده أرانى من صنوف العذاب فى ايفاء ما تجمته عليه من الدين ، فماله الآن وقد بقى من عبثه ذلك المبلغ الزهيد رجع الى شنشنته القديمة ، وما عهدى بها ببعيد ؟ •

الا قتل الانسان ما أكفره ! • لقد كتبت اليه صباح هذا اليوم أكلفه أن يذهب الى جنابك فيدفع لك تلك الحوالة ، فعسى أن تكتب الى بما سيكون •

قرأت فى (المنار) الأخير بعض مغامز لاحت لكم بين ثنايا سطور تقرير الشيخ شاكر ، ولما كنت فيما أظن أعلم بما يرمى اليه ذلك الشيخ اردت ان ألفتك الى بعض نصائح اخوية ، فلعلك ترعى منها ما يروق لك • فاعلم أننى تكلمت مرة مع الشيخ شاكر ، وقد عهد الى بتدبير أمر الامتحان وغيره فيما يجب ادخاله من الاصلاح ، فأجابنى بالقبول والاستحسان ، الا أنه رأى — ورأيه الأسد — انه لا يريد أن يفلح الحديد بالحديد ، ولا أن يقابل جمود طلاب العلم بجمود العناد، ولا أن يقبح من تاليفهم القديمة ولا ان يسفه آراء بعض أسلافهم الحمق ، ولا أن يظهر للعالم فى لباس المخترع المبتدع ، ولكن اراد أن يجاريهم حتى يعثروا ، ويورطهم حتى يستنجدوا ، فتراه تارة يدعوهم فرادى ليناقشهم الحساب ، ويسائلهم فيما يجب أن يتبع من سبل الاصلاح ، كأنهم من أهل الرشد ، وتارة يدفعهم الى اجابة ما طلبوا بالحسنى والموعظة الحسنة ، وهكذا •

واننى لعلى بينة من أمر الشيخ شاكر ومقاصده الحسنة التى ارجو أن ينالها قريبا ، ولو رأيت ما شاهدته أنا فى أثناء الامتحان لرجوت له خيرا كثيرا ان شاء الله • هذا ولم يدع الشيخ شاكر أنه أتى بشىء لم يات به الاستاذ الامام رحمه الله ، ولكنه رأى أن يتمسك بجميع ما أتى به الاستاذ وان لم ينسبه اليه ، اذ فى نسبته اليه ما يصرف وجوه أولئك الاغبياء من العلماء والامراء عن تعضيده ، بل فى ذلك ما يدفعهم الى محاربته فى سبيل اقامته ، وما عهدنا بما جرى للاستاذ رحمه الله ببعيد •

والخلاصة أنى آمل أن تخفف من وطأتك فى مناقشة ذلك التقرير ، وأن تعلم أن جميع ما ذكرته من المطاعن قد سبق لغيرك الكلام فيه قبل وضع التقرير ، ولولا القصد الى مخادعة الجامدين ومجاراة المعاندين والزام الجاحدين غير شاعرين، لأتى التقرير خاليا من جميع ذلك • هذا ما رايت ان أذكره لك ، ولك الرأى الموفق ان شاء الله تعالى •

أخى العزيز : لو كنت تعلم ما أعلم من أمر المستشرقين لبصقت على وجوههم ، وشهرت بهم فى الخافقين • أفلا أدلك على ما عمله الاستاذ مرجليوث؟ انه وضع كتابا فى سيرة النبى عليه السلام ، فكان محشوا بما أملاه عليه وسواسه الخبيث ، فأتى فى سيرة النبى بما تستك له المسامع ، واسم الكتاب محمد ونهضة الاسلام • فكلف بعض القادرين بترجمة شىء من فصوله، وعليك بالرد عليه، ولتحذر من ذكر شىء يشتم منه أننى كتبت اليك أصلا فى أمره • قاتل الله الوظائف وقيودها ، والسلام عليك وعلى جميع الاخوان •

أخوك : عبد العزيز شاويش التونسى

***

وقد كتب الشيخ شاويش فى أعلى الرسالة حاشية جاء فيها : « أرجوك أن تذكر عند الرد على مرجليوث أن بعض أصدقائك رأى فى كثير من الجرائد الانجليزية تقاريظ لكتاب وضعه ذلك الرجل الطائر الصيت فلان فى سيرة النبى ، فحرك ذلك من نفسك، لما سبق لك من مخالطة الرجل ومكاتبته ، ثم انطلق فى سبيلك آتيا على تراجم بعض نبذ مما كتب معقبا لها بما يعن لك » •

من هذه الرسائل واشباهها نستطيع ان نأخذ الكثير من المعلومات التى تعاوننا فى تمحيص تاريخنا وفى رسم صورة دقيقة لاعلام هذا التاريخ •

أحمد الشرباصى

أسطورة اللغة العامية

للدكتور محمد مظهر سعيد

ظهرت الدعوة للكتابة باللغة العامية في ثوب جديد ، فذكرتنا بالمحاولة الاستعمارية السابقة ، التي تزعمها المهندس الانجليزي ، السير ولكوكس منذ أكثر من خمسين عاما ، عندما اصدر مجلة هندسية ، باسم « مجلة الأزهر » ، تبدو في ثناياها دعوة سافرة للعامية المصرية . ونشر فعلا ترجمة عامية لمسرحية شيكسبير « هنري الخامس » .

والعجيب ان كتاب العامية المحدثين يرددون نفس الحجج التي تذرع بها، ويستندون الى مذهب الواقعية وحركة تبسيط الادب للشعب، ويستشهدون ببعض جمل متناثرة بين ثنايا المسرحيات والروايات الغربية التي ترد على ألسنة العوام . وليس من شك في أن الكتاب المحدثين تحدوهم رغبة صادقة في نشر الثقافة وتبسيط الادب ، وايمان بمذهب الواقعية . ولكن المعركة الحامية بينهم وبين انصار الفصحى تدور بأسلوب سفسطائي ، تبدو فيه حجج الطرفين صحيحة ، اذا قيست بموازين المنطق الشكلي . ولا بد لمناقشة القضية ، دون تحيز ، من فحص المقدمات ذاتها قبل التسليم بنتائجها ، كما كان يفعل سقراط مع السفسطائيين .

ونبدأ بالمقدمة الاولى ، فنسأل : هل هناك لغة عامية عربية اصيلة ، لها اصول مأثورة ، وقواعد مضبوطة ، يتحدث بها جمهور العامة في جميع انحاء البلاد العربية ، ويفهمونها في سهولة ويسر ، بحيث يمكن أن تسير جنبا الى جنب مع الفصحى ، وتكون بديلة لها ، أو على الأقل تقف منها موقف الايطالية الحديثة من اللاتينية القديمة ، مثلا ؟ وهل العامية التي يكتبها دعاتها المحدثون هي هذه اللغة ؟ .

من المسلم به أن هناك لغة فصحى واحدة، سارت مع الفتح العربي ، وامتدت شرقا وغربا ، واقتلعت اللغات المحلية ، واصبحت لغة الدين والادب والعلم والثقافة الى يومنا هـذا . وقد كان لاهل مصر ، قبل الفتح الاسلامي ، لغة ذات اصول وقواعد ، يتخاطبون بها ويكتبون ، تطورت من الفرعونية الى الهيراطية ثم الديموطية القبطية ودخلها الكثير من اليونانية والرومية . ولكن رجال الدين والادب اقبلوا على اللغة العربية الوافدة ، واتخذوها لسانا لهم ، لما وجدوا فيها من مزايا اللغة الكاملة . ومن ثم اصبحت العربية الفصحى لغة اهل مصر . ولكن العربية لها حروف حلقية ، ونحو وصرف : واعراب وبناء ، وتراكيب واساليب ، وخصائص مميزة وضعت لها علوم شتى ، ينبغي تعلمها لتقويم اللسان، بعد ان كانت اللغة تؤخذ عن طريق السماع. لهذا صعب على الأعاجم ، في مصر وغير مصر ، النطق الفصيح والتعبير الصحيح ، وبدأ التحريف، فقلبت القاف همزة أو جيما ، والجيم دالا ، والسين شينا واهملت الثاء والذال والضاد والظاء ، كما اهمل النحو ، الذي خلت منه اللغات المحلية .. والعامة في كل البلاد ، نظرا لاميتهم وضيق افقهم وقلة محصولهم اللغوي ، يكتفون ببضع مئات من المفردات، يعبرون بها تعبيرا بدائيا ساذجا ، مخلا ناقصا ، عن كافة افكارهم وآرائهم ومطالبهم المحدودة . ولذلك يكتفون مثلا بكلمة «اللي» عن جميع الضمائر ، وبحكم اتصالهم بالاجانب، من مستعمرين ووافدين، كعمال وصناع وخدم ، اضافوا الى لغتهم المحرفة كلمات أخرى محرفة عن اللغات الاجنبية ، مثل ــ شوبش عن الكردية ، وخاطرتشن ومحبة نعمة عن التركية ، وقنجري وكاكا عن اليونانية ، ووردمان ووردروب عن الفرنسية ، وسكرتو وفياسكا عن الايطالية ، وهكذا . وتدفقت موارد التحريف من كل جانب ، وترسبت فكونت ما يسمى بالعامية .

فالعامية ليست لغة بالمعنى الصحيح ، وانما هي مولود مسيخ ، من ام واحدة هي العربية الفصحى، وآباء اجانب عدة. وهي لغة قلقة غير مستقرة، تتغير من جيل لآخر . فلغة عوام مصر الآن ، غير لغتهم أيام المماليك والاتراك، التي تزخر بالكلمات الشركسية

والكرديةوالتركية. والريفيون الذينعاشوا وتعلموا بالحضر ، والعمال الذين نزحوا للمدن ، تخلصوا منالكثير منالمفردات والتعابير الريفية ، واقتبسوا تعابير مدنية جديدة • وليس من شك في ان انتشار التعليم والثقافة عن طريق المدرسة والصحافة والاذاعة والكتب والروايات له اثره البعيد في الاقتراب من الفصحى ، كما نشاهد في لغة العمال المثقفين الآن .

وفوق هذا ، ليس هناك عامية عربية واحدة ، وانما هناك عدد لا يحصى من اللغات او اللهجاتغير الفصيحة ، يتخاطب بها العوام في مختلف البلاد العربية ، وفي الكثير من الاحيان يصعب علىالقاهرى ان يفهم العامية الصعيدية ، فضلا عن العراقية والمغربية. حتى فيالادب الشعبى الذىيتخذ العامية اداة له ، يصعب جدا على المصرى أن يفهم المواليا والعتابا العراقية واللبنانية، كما يصعب علىالعراقى فهم الموال الصعيدى ، ونكات مجلة « البعكوكة » فاذا قصد دعاة العامية تيسير الثقافة وتقريبالادب الى العوام الاميين ، فبأى هذه اللهجات يكتب الاديب المصرى ، هل بالعامية القاهرية المحدودة ، التى يعرفها ودرج عليها ، أم بعامية الصعيد ، ان كان صعيديا ، أم باللهجات العامية العربيةالاخرى، التى لا يعرفها، ان أراد نشر ادبه بين جميع الشعوب العربية ؟ ان الفصحى لغة واحدة ، والرطانات العامية لا حصر لها ، فبأيها يكتب ؟ ان أراد أن يكون كاتبا عربيا قوميا مجددا ؟ وأى هذه الالفاظ يستخدم ؟

انظر ـ بص • شوف . ارجب • اتطلع • باوع اقشع .

ولد ـ عيل • صغير • زعطوط • بذرة • جهال•

خبز ـ عيش . كسرة . زلوط . ضمون .

كبريت ـ كسفريت . شخاط . زلاميط . وقيد • وكدة • لوكيد •

وكما ان العرب لا يفهمون هذه الكلمات العامية المصرية . دوشه. شوشرة . كروديه. زمبليطه . السطة . سفلاة . فكذلك المصريون لا يفهمون هذه الكلمات الدارجة في بلادها العربية : شلغم (لفت). عرموط (كمثرى) . عنبه (منجه) . نومي (ليمون). كرموس (تين) • تيم شميتا (برتقال) • خيزو• زوروذيا • اسفنازى (جزر) • ذونكا (شارع) • دشره (قرية) . تربان (جيد) . قندره . بابوج . سباط (حذاء) . حسان. حفاف. حجام (حلاق). (صرماية) (زى مال) . بوظة (مثلجات) . مبسوط (مضروب او مهان) . بيزوق (يتناول الافطار) . يتلقح (ينام) • بيزريا• فيسا • بلخيفا (بسرعة)•

وللذين يقولون ان العامية اصلح واطوع للاغانى العاطفية ، اقول : هذه المقطوعة القاهرية المعروفة ـ ماشى كده وعينه منى ، وعامل انه مخاصمنى ، وكل ساعة يسأل عنى ، وأنا نازله أدلع املا القلل• هل تكتبها هكذا بالصعيدى ، كما فعل المرحوم بيرم التونسى ـ مارج جده وعينه ع ترجبنى ، وعامل كيف مخاصمنى ، وكل وكيت ع يسعلعنى، وانا نازلة أجلع أملا الدباليز ـ أم بالعامية اللبنانية• يخطر هيك وعويناته تطلع لى ، ويسوى انه من شرتى ، وكل سيعه يسأل عنى ، وانا هابطة ادلل املا لجرار .

لصلحة من اذن يكتب الأدب بالعامية ، التى لا يفهمها المتعلمون ، ولا يحسنون قراءتها بتاتا ؟ هل للطبقة المتخلفة من العوام الاميين القاهريين وحدهم ، الذين سيقضى التعليم العام على عاميتهم عما قريب ، وهم يكتبون ولا يقرءون ؟ ومن سيقرا لهم ؟ الا تكفيهم المواويل والازجال والاغانى والاذاعات والمسرحيات الفكاهية ، حتى نضيف اليها الادب المكتوب . وهل تيسير الثقافة وتبسيطالادب يقتضيان أن تنزل الى مستوى العامية ، وهناك اللغة الفصيحة الوسطى التى يفهمها الجميع . ان الفصحى ؛ المتمثلة في القرآن والحديث وشعر الفحول وادب العمالقة ومسرحيات شوقى وعزيز اباظة وقصائد أم كلثوم وعبد الوهاب والاناشيد الحماسية، لها فينفوس العامة انفسهم منالتقديس والروعة ما يفوق جميع الاغانى والأزجال العامية •

ان الشعب الذى يكاد يجن عندما يسمع – سلوا قلبى ، وريم على القاع ، ونشيد الله اكبر ؛ لا يمكن ان يتهم بانه لايتذوق الفصحي ولا يريد غير العامية.

افهم ان عزوف الكاتب الناشىء عن دراسة اصول اللغة وقواعدها وموازينها، لما تتطلبه من جهد شاق وداب متواصل ، ومن ثم قلة محصوله من المفردات والتراكيب ، قد يكون مبررا لاصطناعه العامية . واذا كان المبرر هو الواقعية كما يقال ، فليس هناك فى الادب الغربى رواية او مسرحية كتبت كلها بالعامية . الا فى العربية فقد كتبت فيها مسرحيات فكاهية باللغة العامية . وغاية ما هنالك أن تورد أحيانا بعض جمل ينطق بها بعض شخصيات الرواية العوام ، وتوضع بين قوسين أو علامتين للدلالة على انها عامية . وليس صحيحا ما يقال من ان الشعوب الأوربية لها لغة واحدة ، للتخاطب والكتابة .. فان العوام من طبقة العمال والفلاحين هناك لهم لهجاتهم العامية الخاصة التى لا يفهمها المتعلمون ، والاميون انفسهم لا يعرفون قواعد اللغة الصحيحة . ومن مصلحة حزب العمال الانجليزى مثلا أن تنزل صحفه ونشراته وكتبه الى مستواهم ، وكذلك من مصلحة المحافظين ان يستميلوهم اليهم، ولكنهم لايصطنعون العامية أبدا.

وهل ينتظر ان تتطور حركة العامية الى طلب كتابة القرآن والحديث بالعامية ، وبمسخ شعر الفحول فيصير زجلا ، لنشبع الذوق الفنى للعوام ، وتعطشهم للعلم والمعرفة . ان واجب الثقافة الحديثة أن تمحو عن الطبقات الدنيا وصمة الامية والعامية ؛ لا أن تثبت أقدامها وتجعلها ذات مكانة وكرامة . ان جميع المذاهب الادبية لا تبرر ، عقلا ولا منطقا ، استبدال لهجة عامية، قاصرة ممسوخة، محدودة الافق ، قليلة المحصول ، مختلفة البناء ، بلغتنا الفصحى . وبخاصة فى هذا الوقت الذى ندعو فيه للقومية العربية ووحدة الثقافة . ولغتنا الفصحى هى الأساس الاول والأخير لهذه القومية العربية . وعلى الكاتب الناشىء ، مهما ظهر من بوادر نبوغه الادبى ، وهو لم يبلغ الحلم بعد ، ان يستكمل ادوات اللغة ، قبل أن يتصدى للانتاج، واذا كانت الصحافة مدرسة النوابغ ، فعليها ان تعالج ضعفه قبل ان تدفع به الى مرتبة الادباء .

ولا يصح بحال ان تكون عنايتنا بفصحانا الاصيلة اقل من عناية الانجليز ، مثلا ، بلغتهم المستحدثة المستعارة من شتى اللغات . فمنذ القرن السابع عشر ، هال الادباء والكتاب تفشى العامية فى لغة بعض الصحف والكتاب الناشئين . فالفوا الجمعية الملكية سنة ١٦٦٤ ونادى درايدن وسويفت وديفو بان تكون مهمة اللجنة ان تثبت اقدام الفصحى ، فلا تطغى عليها اللهجات العامية . ومن واجب رجال الدين والكتاب والنقاد أن يهذبوا من لغة العمال والفلاحين ، والصحفيين الناشئين ، الذين يكتبون فيخطئون فى الهجاء والقواعد والاسلوب ، وينزلون الى مستوى العامة . وارسل سويفت كتابا لرئيس الوزارة يقول فيه – ان لغة الكتابة فى هذه الايام اصبحت مشوشة الى اكبر حد ، وتزداد سوءا كل يوم . والكتاب بدلا من نشر الثقافة والادب ، انما ينشرون العامية ، بسيئاتها وسخافاتها ؛ وفى هذا العصر قال تشسترتون – ان اللغة العامية فيها الجيد والردىء ، ولكنها أقل أثرا فى النفس ، لأنها تعطينا معانى منحلة غامضة مشكوكا فيها، وهى دليل على الافلاس اللغوى والعلمى . وقد تكون العامية داعية الالفة بين الكاتب الناشىء والقارىء غير المثقف ، لانه ينزل الى مستواه ويهمس فى اذنه بما يسهل عليه فهمه، ولكنها ليست لغة باية حال.

وخلاصة القول ان الفصحى هى القرآن والدين، والتفريط فيها ، تفريط فى الدين والقومية ، كما قال الامام محمد عبده .

والله سبحانه وتعالى يقول – انزلناه قرآنا عربيا – وانا انزلنا الذكر وأنا له لحافظون .

الدكتور محمد مظهر سعيد
عميد الفلسفة والاجتماع والتربية

الاتصال بالقديم فن

للدكتور أحمد كمال زكي

لفت نظري مقالان في « الرسالة » عن أبي تمام وكان من الممكن أن أجاوزهما دون اشارة الى بعض ما ورد فيهما لولا أنى خشيت سوء مايخلفان . واذا كان الأمر يتصل بتراثنا ثم يقف عند طريقة معالجته وفهمه ، نرى الى أى حد يصبح المساس بحقيقته خطرا على تاريخنا بله قوميتنا !

وليست القضية في الواقع قضية أبي تمام ولا قضية نسبه وتقويم شعره ، انما هي قضية الماضي كله وأسباب وجوده . وما من شك في أن ثمة عوامل عصفت بجزء منه ويريد غير الجادين أن يعصفوا بجزئه الآخر ، ولهذا يجب أن نمد أيدينا الى أبعاد القضية قبل أن تضيع المعالم ؛ فتختل الموازين اختلالها في المقالين اللذين عرضا لأبي تمام .

انا لا انقض ، ولكنى أحاول أن أجعل للقديم جدواه في عمليات البناء المعاصرة . ويوم أنكر على دارس أن يعتمد على كتاب كالأغاني مثلا لا أبخس من ثمنه ولا أحط من قدره ، ولكنى أطالبه بشيئين : أولهما مناقشة أسانيده ومتونه مناقشة منهجية ، وثانيهما تأييد مايرد فيه بكتب أخرى تعرفها المكتبة العربية حق المعرفة . وتواتر الخبر في هذه الحال ـ بمعنى دورانه في مختلف المظان ـ أول خطوة من خطوات البحث العلمي .

هذه المنهجية ليست بالشيء الذي أنفرد بالدعوة اليه ، فقد سبقت اليها بالكثيرين . ومن شهر واحد فقط كتب الأستاذ أمين الخولي مقالا في «المجلة» ينادي بما أنادي به وان تغير الاسلوب !

والأمثلة على اضطراب مايعتمده متخصص كالدكتور عبد الرحمن عثمان ـ صاحب المقالين ـ لا يمكن حصرها ، ولذلك لم يكن عجبا أن تختلط الروايات ، فلا ندرى على وجه التحقيق متى ولد الشاعر ومتى مات ، ونتخبط في سلسلة نسبه بين أن نجعلها تصل الى أرومة عربية وبين أن نميل به الى عرق يوناني أو فارسي ، ثم تشتجر التقول به فتجعله أشعر الشعراء أو تقدم عليه من دونه حتى ليشرئب اليه دعبل الخزاعي ويناطحه على القمة تلميذه أبو عبادة البحتري .

أترى هذه خصومة للشاعر أم شعوبية لاتزال تدبر كما دبرت طوال القرن الثاني الهجري ؟

لا هذه ولا تلك ، ومن هنا يبدو كثير مما كتبه الدكتور عبد الرحمن عثمان فضولا . اذ لو كان تعمق بعض الشيء لأدرك أن السبب الحقيقي هو اضطراب الحيز الذي شغله الموروث ، وتوزعه بين دكاكين الوراقة وخيالات القاصين وتعنت النقاد ثم عصبيات الفرق المشتغلة بالأدب .

فعن الوراقة بصفة خاصة أسوق مثلا مما كتبه الاولون عن أبي تمام لعله يلقى ضوءا أمام كاتب المقالين لو فكر في متابعة كتابة غيرهما ، ووراء هذا المثال عمليات الربح الهائلة التى كان يحصل عليها الوراقون مما كانوا يفتعلونه ويحملونه على الأدباء . قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي في صفحة ٥٥ من كتابه « أخبار أبي تمام » مخاطبا مزاحم بن فاتك « وليس يجب أعزك الله أن تنظر الى اختلاف الناس في أبي تمام واضطراب روايتهم لشعره ، فانهم بعد اتمام هذه النسخة يجتمعون عليها ويسقطون غيرها كما كانوا مختلفين في شعر أبي نواس وأخباره ، ثم اجتمعوا عليه بعد فراغي منه حتى ان النسخة من شعره من غير ماعملته لتباع بدراهم قد كانت قبل ذلك تباع بعددها دنانير ، ولعلها بعد قليل تفقد فلا ترى وتسقط فلا تراد . وقد رأيت أعزك الله بعض هؤلاء يصحف أيضا على أبي تمام ثم يعيب ما لم يقله أبو تمام قط » .

ولعلنا نرى في ذكر أبي نواس منفذا لتعميم الحكم بحيث لا يقصر على أبي تمام وحده ، فان غير شعر هذين ضيعه الوراقون أو حرفوه أو استنسخوه بلا تدقيق ولا تحقيق وربما فيما يرويه ابن النديم في فهرسته عن أن اسحاق الموصلي لم يضع كتاب « الاغاني الكبير » وانما وضعه وراقه سندي بن علي ، لعل هذا يكشف بجلاء عن سبب من أسباب اضطراب صورة التراث وحقيقته .

فاذا انتقلنا الى القاصين وقد زادوا في العصر العباسي الى حد اضطر معه ابن النديم الى خصهم

بمقالة من مقالاته ، فاننا نجدهم يشـاكون الوراقين في الاختلاق والتزوير . واكثر ما يكون ذلك عن الأشخاص البارزين ، عن أبي نواس مثـلا أو أبي العتاهية أو أبي تمـام في علاقته بأم البحتري ، ونجد في الأغاني الوانا طريفة من هذا الوضع ، وفي العقد الفريد كتاب من كتبه يرصد لشتى قصص أبطالها أدباء عباسيون .

وأما النقـاد فأمرهم أعجب من أمر الوراقين والقصاصين ، لأنهم كانوا يشترطون أنماطا معينة من الأدب ، وكانوا في اشتراطاتهم يرفضون آثار العصر الفنية . حتى ان أبا عمرو بن العلاء ـ شيخ العربية في البصرة ـ رفض شعر فحول بني أمية معاصريه وقال قولته المشهورة : لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته !

وكان تلميذه الأصمعي يحذو حذوه ، ويقـدم القديم لضعف ثقته بما يأتي به المتعاصرون معه ، ولحاجته هو ـ كعالم لغوي ـ الى الشاهد .

وتظهر خطورة هذا الموقف في اهمال كثير مما يقوله شعراء العصر ، ولا تعادلها خطورة أخرى الا افتئات الرواة الذين كانوا ينقل عنهم رجال اللغة والأدب شواهدهم . ومن هنا يجد الدارس مشقة كبير في تقويم الرواية القديمة من ناحية وفي الجرى وراء الشاهد المحدث من ناحية أخرى وليس يغنيه كتاب ككتاب ابن قتيبة ـ الذي رصد للمحدثين الى جانب القدماء ـ ولا كتاب آخر كطبقات ابن المعتز ، فثمة مئات مثله فقدت وهي تنسب لأبي الحسن الزيادي ودعبل الخزاعي واسماعيل بن أبي محمد اليزيدي وابن طباطبا العلوي وغيرهم .

فان انتقلنا الى العصبيات راعتنا كارثة تشبه كارثة اهمال أبي عمرو لشعر الفحول ، بل لعلها تكون أشد عنفا عند المؤلفين من أمثال أبي الفرج الأصفهاني وابن جرير الطبري . ذلك أن الأمر لا يقتصر فقط على اهمال ذكر الشخص كما فعل الأول باسقاطه ابن الرومي وكما فعل الثاني باسقاطه أحمد بن حنبل ، ولكنه يصل الى حد التشويه في أكثر الأحيان . وهذا أبو الفرج نفسه يحمل على أبي العتاهية حملة لا تجد لها مبررا ! فهو يروي عن خصومه المعتزلة ـ أمثال ثمامة بن الاشرس وبشر ابن المعتمر والجاحظ ـ روايات تحط من قدره ، ولم يحاول أن يستعين بالمحايدين ـ من أمثال أبي دعامة العبسي وابن عمار الثقفي وابن الفقيه الهمداني ومحمد ابن يحيى الذي ينتمي الى آل المنجم ـ ليكونوا في مقابل الأولين على حد سواء ، فيستطيع الدارس أن يزن ويختار .

على هذا النحو يجد المتخصص نفسه في مواجهة عقبات لم يحاول الدكتور عبد الرحمن عثمان أن يذللهـا ، بل لم يستطع أن ينتفع بخبرات من سبقوه ؛ فدار فيما كان لا ينبغي أن يدور فيه ، وأعاد ما قيل في عجلة ورطته في أخطاء شتى . وكان عليه قبل أن يدهش لتضارب الروايات حول أبي تمام ـ وهذا شيء عادي كما قدمنا ـ أن يتوقى خطر التعميم أولا ، ثم يبتعد ثانيـا عن القضـايا التي لا يتأهب لها التأهب الكافي .

ففي الجانب الأول يقرر ـ على ماجاء في المقـال الأول ـ أن الأصمعي من مخضرمي الدولتين لمجرد أنه ولد سنة ١٢٣ ، وهذا معنـاه أن الأصمعي تكون فكريا وفنيا وهو حول التاسعة ، لأن قيام الدولة العباسية وقع سنة ١٣٢ .

وفيه يقرر أن الشعر كان يقال في عصر بني أمية للاستدلال به على القرآن والحديث واللغة ولسنا ندري كيف على هذا الأساس يفسر نقائض الفحول وغزليات عمر بن أبي ربيعة وهاشميات الكميت ؛ ان وقائع العصر كلها ترفض هذا الحكم ، وما يروى عن أبي عمرو ـ كما قدمنا ـ والأصمعي وأبي عبيدة ويونس بن حبيب وغيرهم ممن سبقوهم كعيسى بن عمر الثقفي ونصر بن عاصم الليثي من حبهم للقديم وزهدهم في آثار المحدثين .. ما يروى عن هؤلاء ـ وحالهم تلك ـ لدليل على أن الاستدلال بالشعر على القرآن والحديث واللغة كان مقصورا على النص الجاهلي القديم !

وكذلك يقرر من باب التعميم أن الزعامة الأدبية انتقلت من الحجاز ودمشق ـ بقيام الدولة العباسية ـ الى بغداد . ولسنا ندري كيف يوفق بين ذلك وبين سكنى بغداد عام ١٤٩ لأول مرة ثم مرور سنوات

أخرى قبل أن تتخلى كل من البصرة والكوفة عن هذه الزعامة ·

فان تركنا هذا الى الجانب الثانى ـ ولن نذكر الا قليلا من كثير كما فعلنا فى الجانب الأول ـ فاننا نجابه بمبدأ نقدى شديد الغرابة ؛ فهو يقول فى المقال الثانى ـ فى معرض نسب أبى تمام ـ ان الشاعر المجيد هو « الذى يجمع الى الجودة أصالة النسب وعراقة القبيلة » هذا ليقرر حقيقة أغرب من المبدأ نفسه وهى أن تجريح أبى تمام فى نسبه راجع الى وضاعة أصله ، وعندما أراد أن يقوم الدليل ساق بيتا لشاعر فى الطبقة الثالثة اذا قورن بالفحول هو الصلتان العبدى الذى كان يسكن البحرين ويقول فيه الفرزدق : ما للبحران والشعر ؟

ذلك مايرويه ابن سلام الجمحى فى طبقات فحوله ، ولا يروى البيت الذى اعتمده الدكتور عبد الرحمن عثمان وهو :

أرى الخطفى بذ الفرزدق شعره
ولكن خيرا من كليب مجاشع

ليخرج منه بالمبدأ المذكور ، وبناء عليه يهوى جرير الى الحضيض ، الا أنه يختلط عليه الأمر فجأة فيقول معدلا من المبدأ « مثل هذا الشتم كان يضع منه ـ أى من جرير ـ كشاعر فى عصر يؤمن بمجد القبيلة » وفى معرض التدليل بدليل آخر يسوق قول أبى عمرو بن العلاء عن رأيه فى الأخطل لو أدرك يوما واحدا من الجاهلية ماقدمت عليه أحدا .

ما صلة هذا بذاك ؟ وأين قضية النسب كعامل من عوامل الحكم على تفوق الشاعر من مشكلة القديم والحديث فى رواية الشعر ؟

هذا ما أعنيه بانه الدكتور عبد الرحمن لم يتأهب التأهب اللازم للقضايا التى يتعرض لها ، ومن هذا القبيل نفسه وضعه عروبة الشاعر فى مقابل مايقال عن نصرانية أبيه ، وحديثه عن البيئة كمؤثر فى الانتاج الفنى مختلط اختلاطا عجيبا بالوراثة التى تختلط بدورها بالنسب حتى لينتهى الى تقريرية جامدة هى على ما ورد فى المقال الثانى « فنسب الأديب من هذا الجانب ـ يعنى هنا البيئة ـ قد يفيدنا فى التعرف على مصادر أدبه فائدة عظمى فى هذا الشأن ، ولكن طابع الوراثة ـ هكذا ـ فى الانتاج الأدبى ليس هو كل شىء بالنسبة لمن يعرض لدراسة فن الأديب » ·

أنا لن أعلق على هذا حتى يقرأ أولا نظرية هيبوليت تين فى النقد ثم مناقشة سانت بيف معاصره لها ! ·

وأخيرا الموضوع كله ·· موضوع الشاعر وشعره وتجديده ، لقد كتب فيه كثير ، وأجاد أغلب من كتب ، الا أن الدكتور محمد نجيب البهبيتى يوضع فى مقدمة من فتح أكثر الآفاق لفهم الشاعر وتقويم فنه تقويما أصيلا قائما على الدرس الواعى والمناقشة الرشيدة·· فهل انتفع الدكتور عبد الرحمن عثمان بكل أولئك ؟

لا أريد أن أجيب ، ولكنى أرجح أن ما أصاب فيه الكاتب فهو للدكتور البهبيتى وماعدا ذلك فليس له !

لقد أردت بهذا العرض التحليلى أن أضع احدى التجارب المعاصرة فى ميزان النقد ، وفى رأيى أن كل محاولة من هذا القبيل ـ بغض النظر عن أسلوبها المنمق ـ لا تقدم الأعماق المنشودة ولا الابعاد التى تحدد الهدف · والقول انها قد تبدو تكرارا ممسوخا لاعمال سابقة لا يكفى للقطع بعدم جدواها ثم يسكت عن صاحبها ؛ فسوف يقع الناشئة من بعده فيما تورط هو فيه ، واذ ذاك تطمس الحقائق بعد ان كانت غائمة ، ويضيع فى الركام ما يحاول أن يخفيه الغبار ·

ان أمام المتخصصين فرصة العمل الجدى ، ولن تتحقق تلك الجدية الا بحسن تناول القديم بعد التثبت منه والتأكد من سلامة أسانيده · وليس يكفى أن يتسلح الباحث بعدة شعارات دخيلة ليناقش فى ضوئها مشكلات ليست بمشكلة ، كذلك لا يكفى أن يملك الكتاب القديم ليعتبر ما فيه من المقررات النهائية ؛ فان خيرا من ذلك اعتبارها منافذ الى نقاط تقبل المناقشة !

دكتور
احمد كمال زكى

الحكم بالقرائن والفراسة

للأستاذ أحمد فتحي بهنسي

لا تختلف القاعدة في الشريعة الاسلامية عن القاعدة التي يأخذ بها الفقه الغربي في الاثبات ، وقد لخص الفقيه العظيم ابن قيم الجوزية ذلك الرأي في كتابه أعلام الموقعين فقال : ان الشارع لم يقف الحكم في حفظ الحقوق البتة على شهادة ذكرين لا في الدماء ولا في الاموال ولا في الفروج ولا في الحدود بل قد حد الخلفاء الراشدون والصحابة رضى الله عنهم في الزنا بالحمل وفي الخمر بالرائحة والقيء .

وطرق الاثبات الجنائي في الفقه الاسلامي هي : الشهادة ، الاقرار ، القرائن ، الخبرة ، معلومات القاضي ، الكتابة ، اليمين .

والقرينة ماخوذة من المقارنة وهي المصاحبة . وقد تكون دلالتها قوية او ضعيفة على حسب قوة المصاحبة وضعفها . وقد ترتقي الى درجة القطع او تهبط الى درجة الاحتمال البعيد بحيث تصبح ولا يعبأ بها والمرجع في ضبطها الى قوة الذهن والفطنة واليقظة .

اما الفراسة فهي تعرف الشيء بالظن الصائب وهي توجد في اشخاص معينين اكتسبوها بخبراتهم واستعدادهم ، وقد تؤدى الفراسة الى وجود القرينة .

وعلى ذلك فهناك فرق بين القرينة والفراسة ، فالفراسة مرحلة ضعيفة من مراحل القرينة ولا يعتمد عليها دائما في الحكم .

وفي النهاية لابن الاثير ان الفراسة لها معنيان :

١ ـ ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون احوال بعض الناس بنوع من الكرامات واصابة الظن والحدس .

٢ ـ نوع يتعلم بالدلائل والتجارب والخلق والاخلاق فتعرف به أحوال الناس .

وقد سئل ابن قيم الجوزية عن الحكم بالقرائن والفراسة فقال :

« هذه مسألة كبيرة عظيمة النفع جليلة القدر ان اهملها الحاكم او الوالي أضاع حقا كثيرا . واقام باطلا كبيرا . وان توسع وجعل معوله عليها دون الأوضاع الشرعية وقع في أنواع من الظلم والفساد » .

وعلى ذلك فالحكم بالقرائن أو الفراسة يجب الا يتعدى أوضاعا معينة فلا يحكم بها اذا كان يوجد ما يناقضها او اذا كانت دلالتها في الاقناع ضعيفة .

ولذلك قال بعض الائمة منهم أبو حنيفة والشافعي واحمد في رواية : لا تحد المرأة اذا وجدت حاملا بدون زواج ولا شبهة الزواج لأنه يحتمل أنه من وطء اكراه أو شبهة والحد يسقط بالشبهات .

وقال المالكية وأحمد في رواية أخرى : ان المرأة تحد بالحمل واستدلوا بما ورد في الموطا : « قال عمر رضي الله عنه : الرجم في كتاب الله حق على من زنا من الرجال والنساء اذا احصنا اذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف .

وفي الحقيقة لا خلاف في الجوهر بين الرأيين .

فان ثبت أن الزنا كان بالاكراه فلا حد وفقا الاصول الشرعية المعروفة في اى من المذاهب .

وان كانت المرأة الحامل بكرا فلا حد أيضا وذلك لان الزنا منها يوجب المباشرة والوطء . والوطء من اهم الاركان التي تستوجب العقوبة في جريمة الزنا والوطء الذي يوجب الحد هو ايلاج الحشفة وتغييبها في الفرج او قدرها من مقطوعها وهو ما لم يحدث في هذه الحالة .

يبقى ان تكون المرأة حاملا ثيبا غير متزوجة ولم تدفع باكراه ولا بوجه من أوجه الدفع التي توجب الشبهة . وفي هذه الحالة تحد وفقا لقول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه .

ورد في الدسوقي على الشرح الكبير :

« يثبت الزنا بالاقرار والبينة وبظهور الحمل في امرأة غير متزوجة . ولا تقبل دعواها بالغصب بلا قرينة تشهد لها بذلك ولا دعواها أن هذا الحمل من مني شربه فرجها في الحمام الا لقرينة . مثل كونها عذراء وهي من اهل العفة او تعلقها بالمدعى عليه سواء كان صالحا او مجهول الحال او فاسقا . أي تأتي مستغيثة منه او تأتي البكر تدمى عقب الوطء وان لم تستغث وتقول اكرهني فلان »

كذلك وجد الخلاف في هل يثبت شرب الخمر بالرائحة والقيء ؟ .

فقال البعض منهم أبو حنيفة والشافعي : لا حد على من وجد منه رائحة الخمر أو تقيأها اذا لم يشاهد منه الشرب أو يقر على نفسه لان الرائحة محتملة . ولأن الشرب قد يقع عن اكراهه أو جهله او اضطراره .

وقال البعض الآخر منهم مالك واحمد وهو المأثور عن الخلفاء الراشدين وحكم به عمر وابن مسعود : ان الحد يطبق في هذه الحالة اعتمادا على القرينة الظاهرة . روى الموطأ والنسائي عن السائب بن يزيد قال : « ان عمر قال : وجدت من فلان ريح شراب » يعني بعض بنيه » وزعم أنه شرب الطلاء . وانا سائل عنه ، فان كان يسكر جلدته فسال فقيل له : انه يسكر ، فجلده عمر الحد تماما » اخرجه الموطأ .

***

وقد حكم الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرائن والفراسة ، قال حماد بن سلمة : اخبرنا عبيدالله ابن عمر عن نافع عن ابن عمر ان رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم قاتل اهل خيبر حتى‌الجاهم الى‌قصرهم فغلب على الزرع والارض والنخل فصالحوه على‌ان يجلوا منها ولهم ما حملت ركابهم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء والبيضاء ، وشرط عليهم ألا يكتموا ولا يغيبوا شيئا فان فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد فغيبوا مسكا فيه مال وحلى لحيى بن اخطب كان احتمله معه الى خيبر حين اجليت النضير . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعم حيى بن اخطب ما فعل مسك حيى الذى جاء به من النضير ؛ قال : اذهبته النفقات والحروب . قال : العهد قريب والمال اكثر من‌ذلك فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الزبير فمسه بعذاب ، وقد كان قبل ذلك دخل خربة . فقال : قد رايت حييا يطوف في خربة ههنا فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابني ابى الحقبة واحدهما زوج صفية بالنكث الذى نكثوا » .

فهنا قرائن قوية كثرة المال وقصر المدة التى ينفق فيها والمكان الذى دخله حيى بن أخطب .

وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« بينما امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احداهما فقالت لصاحبتها : انما ذهب بابنك انت ، وقالت‌الاخرى : انما ذهب بابنك . فتحاكمتا الى داود عليه السلام فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود عليه السلام فاخبرتاه فقال: ائتونى بالسكين اشقه بينكما . فقالت الصغرى : لا ، يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى . فقال ابو هريرة . والله ما سمعت بالسكين الا يومئذ ، ما كنا نقول الا المدية » رواه الشيخان والنسائى .

ومن ذلك قول الشاهد الذى ذكر الله شهادته ولم ينكرها بل لم يعبه بل حكاها مقررا لها فقال الله تعالى :

« واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر ، والفيا سيدها لدى الباب قالت : ماجزاء من اراد باهلك سوءا الا أن يسجن أو عذاب أليم . قال : هى راودتنى عن نفسى ، وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قدمن قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قدمن دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما راى قميصه قد من دبر قال : انه من كيدكن ان كيدكن عظيم » فتوصل بقد القميص الى تمييز الصادق منهما من الكاذب .

ومن ذلك ايضا ان يزيد بن هارون رحمه الله قال :

تقلد القضاء بواسط رجل ثقة فاودع رجل بعض اخوانه كيسا مختوما ذكر ان فيه الف دينار فلما طالت غيبة الرجل فتق المودع بالكيس من اسفله واخذ الدنانير وجعل مكانها دراهم واعاد الخياطة كما كانت وجاء صاحبه فطلب وديعته فدفع اليه الكيس بختمه لم يتغير فلما فتحه وشهد الحال رجع اليه وقال : انى اودعتك دنانير؟ والتى دفعت الى‌دراهم فقال : هو كيسك‌بخاتمك . فاستعدى عليه القاضى فأمر باحضار المودع فلما صاروا بين يديه قال له القاضى : منذ كم أودعك هذا الكيس ، فقال : منذ خمس عشرة سنة فأخذ القاضى تلك الدراهم وقرا سكتها فاذا منها ما قد ضرب من سنتين وثلاثة فامره بدفع الدنانير اليه واسقطه ونادى عليه .

***

وقد مدح الله سبحانه الفراسة واهلها فى‌مواضع من كتابه ، فقال تعالى : « ان فى ذلك لآيات للمتوسمين » وهم المتفرسون الآخذون بالسيما وهى العلامة .

وقال تعالى : « ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم » .

وقال تعالى : « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم » ، وفي جامع الترمذي مرفوعا : (اتقوا فراسة المؤمن ، فانه ينظر بنور الله ، ثم قرأ : « ان في ذلك لآيات للمتوسمين ») .

وقال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : أفرس الناس ثلاثة : امراة فرعون موسى ، حيث قالت : قرة عين لى ولك ، لا تقتلوه ، عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا ، وصاحب يوسف ، حيث قال لامرأته: اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا . وابو بكر الصديق في عمر بن الخطاب حيث جعلهالخليفة بعده .

ومما يروى عن فراسة الامام على ان رجلين من قريش دفعا الى امراة مائة دينار وديعة وقالا : لا تدفعيها الى واحد منا دون صاحبه . فلبثا حولا ، فجاء أحدهما فقالت : ان صاحبى قد مات فادفعى الى الدنانير . فأبت ، وقالت : انكما قلتما لى لا تدفعيها الى واحد منا دون صاحبه ، فلست بدافعتها اليك ، فثقل عليها باهلها وجيرانها حتى دفعتها اليه ، ثم لبثت حولا آخر ، فجاء الآخر فقال : ادفعى الى الدنانير . فقالت ان صاحبك جاءنى ، فزعم انك قد مت ، فدفعتها اليه ، فاختصما الى على بن ابى طالب ، فعرف على انهما قد مكرا بها : فقال : اليس قد قلتما لا تدفعيها الى واحد منا دون صاحبه ؟ قال : بلى ، قال : فان مالك عندها ، فاذهب فجيء بصاحبك حتى تدفعه اليكما .

ومن امثال تلك الروايات يروى لنا الفقه الكثير مما يدل على ضرورة أن يكون القاضى علاوة على كونه عالما أن يكون فطنا فهما .

قال رجل لاياس بن معاوية : علمنى القضاء . فقال ان القضاء لا يعلم ، انما القضاء فهم . ولكن قل : علمنى العلم . وهذا هو سر المسألة . وقد كتب عمر الى قاضيه ابى موسى فى كتابه المشهور: « الفهم الفهم فيما أولى اليك . قال ابن القيم :

« فالذى اختص به اياس وشريح مع مشاركتهما لاهل عصرهما في العلم هو : الفهم فى الواقع ، والاستدلال بالأمارات وشواهد الحال ، وهذا الذى فات كثيرا من الحكام ، فأضاعوا كثيرا من الحقوق .

احمد فتحى بهنسى

سياحة فى كتاب :
رحلات بوركهرت فى بلاد النوبة والسودان

للأستاذ محمد على غريب

رحلات بوركهرت فى بلاد النوبة والسودان
هل كان المؤلف جاسوسا ؟ شتائم يصبها على أبناء العروبة فى مصر وفى بلاد النوبة

بين يدى كتاب (رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان) لمؤلفه جون لويس بوركهارت ، الأفاقى المغامر الذى حملته كراهيته لفرنسا فى ثورتها الدامية، الى أن يقصد الى أعدى أعدائها وهى انجلترا فى ذلك الحين والجوع يكاد يسلبهقدرته على النطق، فيلتمس عملا ... أى عمل يمكن أن يؤديه ، فى مقابل أن يأكل ويشرب .

وكانت انجلترا فى ذلك الحين - أى فى بداية القرن التاسع عشر - قد تفتحت شهيتها للاستعمار الجشع الذى يبذل غاية جهده فى أن يبتلع العالم كله ، وربما كان هذا غير كاف لكسر حدة جوعه وشراهته وفى سبيل الوصول الى تحقيق أغراض الاستعمار وتدعيم قواعده ، راح اولئك الهبناء ممن يتظاهرون بالعلم فى انجلترا يبذلون جهودا مضنية فى الكشف عن كل ما هو مجهول فى القارةالافريقية، التى ترقد ثرواتها ونفائسها وذخائرها فى جوف الارض .

وكانت هناك الجمعية الافريقية التى أنشئت عام ١٧٨٨ م تحت رعاية السير (جوزيف بانكس) واتجهت محاولات تلك الجمعية الى اكتشاف منبع نهر النيجر ، فأوفدت الىافريقيا خمسة من الرحالة، لقى ثلاثة منهم حتفهم قبل أن يصلوا الى اية نتيجة.

وأخيرا جاء هذا الشاب (جون لويس بوركهارت) فأوفدته الجمعية الافريقية كما أوفدت الذينسبقوه ليكشف عن سر هذا النهر الغامض . والعجيب فى الامر أن هذا الشاب لم يذهب الى نهر النيجر ولكنه أمضى أكثر حياته فى سورية وفى مصر وفى بلاد النوبة وفى السودان ، واستطاع أن يرسم صورا كثيرة بعضها مشرق وبعضها قاتم للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى هذه البلاد .

فى هذا الوقت كان (بوركهارت) يبدأ رحلته من مصر الى هذه الاصقاع النائية بعد أن تعلم اللغة العربية وحذقها وتزيى بالزى العربى ، وسمى نفسه

(ابراهيم بن عبد الله) ويستطيع القارىء أن يلمس فى كتاب (رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان) اهتمامه وعنايته وشدة تنبهه بكل ما عسى ان يمر به فى بلاد النوبة من الآثار الفرعونية القديمة، فهو فيما كتب لا يبدو كسائح تجذبه الفرجة وحب الاستطلاع الى هذه الآثار الخالدة ، والى التمتع بروعة عظمتها وجمالها ، ولكنه يبدو ناقدا - والى حد ما - يبدو مهندسا يقيس الأبعاد ويفحص بدقة وعناية كل اثر من هذه الآثار التى خلدت على الزمن وأذهلت العالم كله بجمالها الأخاذ . وفى وقتنا الحاضر يذهل العالم كله مرة أخرى بروعة هذه الآثار فى بلاد النوبة .

لقد اقتضت العناية الالهية ان تحف مصر بعطفها ورعايتها ، فحققت أعظم حلم فى حياتها ، وهو بناء السد العالى ، واقتضى بناء السد العالى أن تغمر مياه النيل هذه الآثار الفرعونية الفاتنة التى قصد بها من أقاموها أن تبرز الى الوجود شاهدا حيا على عظمة هذا الشعب وأمجاده ، حين كان التاريخ الانسانى طفلا يلهو ويلعب على ضفاف النيل ، ولم يقو على أن يسجل هذه الشوامخ الا أن تسجل نفسها بنفسها .

يقول (بوركهارت) فى حديثه عن (الدر) ما يأتى :

(وأرباض الدر هامة لاحتوائها على معبد يقوم على منحدر فى تل صخرى وراء القرية ، ويدل بناء المعبد على أنه موغل فى القدم ، ويلوح أن أهل هذه المنطقة كانوا يعبدون الآلهة المصرية قبل أن تستقر هذه الآلهة بزمن طويل فى معابد الكرنك والقرنة الضخمة التى توحى الظواهر كلها بأنها أقدم المعابد المصرية اطلاقا) .

وهذه هى رحلته الاولى فى بلاد النوبة ، بدأها من أسوان الى حدود (دنقله) ثم عاد منها الى أسوان ثانية وقد أمضى فى هذه الرحلة أسابيع كثيرة .

ترى كم كلفته هذه الرحلة ؟ وكم أنفق فى الذهاب والاياب ؟

اننا نضع أمام القارىء هذا البيان الذى تركه لنا (بوركهارت) عن نفقات رحلته الاولى فاذا هى ٣٦ قرشا و ١٠ بارة أو ما يوازى جنيها انجليزيا و ١٥ شلنا .

وقد يجهل كثير من القراء قيمة (البارة) وهى تساوى ربع مليم ، فانظر الى رحلة يمضى فيها السائح عدة أسابيع ومجموع نفقاته كلها لا تزيد على ٣٦ قرشا و ١٠ بارات !

ويبدو أن (بوركهارت) كان على أتم الصلات الوثيقة بمحمد على وبابنه ابراهيم ، فهو يحمل خطاب توصية من محمد على ومن ابنه ابراهيم ، ولكن هذا لم يمنعه من أن يكشف عن مذبحة شريرة جرت للمماليك فى (اسنا) وهى غير المذبحة التى خاض فى دمائها محمد على فى القلعة .

ومذبحة (اسنا) غير معروفة للكثيرين ، وان (بوركهارت) ليصفها وصفا دقيقا كما لو أنه كان شاهد عيان لها .

ويقول (بوركهارت): (بلغ عدد المماليك حوالى ثلاثمائة ومثلهم من العبيد المسلحين أولئك هم البقية البائسة التى تخلفت من نيف وأربعة آلاف رجل وهو عددهم يوم بدأ محمد على نضاله معهم فى سبيل السيادة على مصر ، فقد ذبح منهم فى القلعة ألفا ومائتين وعلى رأسهم زعيمهم شاهين بك مع أنه أمنهم على حياتهم بأغلظ العهود والمواثيق) .

ويمضى (بوركهارت) فى رواية أنباء هذه المذبحة فيقول : ان هؤلاء المماليك اعتصموا بالجبال فأرسل اليهم ابراهيم بن محمد على يؤمنهم ويقطع لهم أوثق العهود اذا هم نزلوا من الجبل ، ويتعهد بتقليدهم وظائف فى حكومة محمد على تتفق ومراتبهم ، ثم يقول (بوركهارت) ان المرء لا يكاد يصدق كيف انطلى هذا العرض الكاذب على أكثر من اربعمائة مملوك على رأسهم عدد من البكوات ؟ ولقد هبط المماليك من الجبل ، وفى الطريق جردوا من ثيابهم فوصلوا الى معسكر ابراهيم بك قرب (اسنا) عراة وعندئذ صدرت الاشارة فذبحوا جميعا ، ولم يترك منهم على قيد الحياة سوى مملوكين فرنسيين اجابة لرغبة طبيب ابراهيم بك .

وفى ذلك الوقت كان الذى يحكم بلاد النوبة ثلاثة هم أحفاد (حسن قوسى) وهم يفرضون الضرائب على الاهالى ويبلغ ايراد هؤلاء الحكام الثلاثة فى العام حوالى عشرة آلاف جنيه .

والعجيب أن الضريبة السنوية التى كان يدفعها الاخوة الثلاثة لوالى مصر لا تزيد على مائة وعشرين جنيها .

وندع (بوركهارت) يتحدث عن نفسه فى مغامراته الشيقة فيقول :

(كان هناك عدد من الفقهاء يقرءون القرآن في صوت خافت) .

ثم أقبل فقيه كبير فكان ذلك مؤذنا لهم بترتيل القرآن ترتيلا عاليا على نحو ما يفعل المقرئون في الشرق وقد شاركتهم هذا الترتيل ومضينا فيه زهاء نصف ساعة حتى جيء لنا بالغداء وكان موفورا لأن القوم نحروا بقرة لهذه المناسبة .

ولسنا نعجب من أن (جون لويس بوركهارت) يرتل القرآن الكريم مع المرتلين ، فقد خدع الكثيرين بمظهره العربي ، وسافر الى مكة وادى فريضة الحج ولعله مع القليل جدا من غير المسلمين استطاعوا أن يدخلوا مكة دون أن ينكشف من أمرهم شيء .

وتتجلى حقيقة مهمة (بوركهارت) فيما كتبه وهو يصف رحلته الى (شندى) فهو يتحدث عن خوف أهالى البلاد من الاسلحة الحديثة كالبنادق والمدافع وكيف أن مبعوثا لمحمد على وصل الى (سنار) فعرض ملك المنطقة أمامه فرقة من الفرسان ، وأراد مبعوث محمد على أن يعرض أسلحته الحديثة وكان معه مدفعان صغيران يحملهما جملان فلما أطلق واحدا منهما ، فر أكثر الاهالى وسقط كثيرون منهم على الارض .

ويواصل (بوركهارت) حديثه فيقول انه لم يصادف رجلا فى هذه المناطق اجترأ على أن يمس بندقيته .

ويجيء بعد ذلك بيت (القصيد) من رحلة (بوركهارت) حيث يقول ما نصه :

(وهذا سبب من الاسباب التى تحملنى على الاعتقاد بأن فرقة صغيرة من الجند الاوربيين كفيلة بأن تشق لها طريقا فى هذه البلاد دون أن تلقى مقاومة اذا تذرعت بالحكمة والصبر .

واحسب أن ثلاثمائة رجل، ممن مرنوا على احتمال المناخ المدارى ، يستطيعون أن يوغلوا فى شرق افريقية ، ولن تعترض طريقهم عقبات قوية يؤبه بها من (أسوان) الى (سنار) .

واذا كان مائتان وخمسون من صعاليك المماليك قد فتحوا (دنقلة) وفرضوا عليها سلطانهم برغم مقاومة الدناقلة والشياقية مجتمعين ، فخليق بقوة مدربة من الاوربيين ألا تخشى بأس هؤلاء الافريقيين وهم على حالهم من تشتت وانقسام الى امارات صغيرة لا رابطة بينها ولا اتحاد)

ومهما يكن من شيء فان هذا هو الذى حدث فعلا، اذ أنه بعد سنوات جاء الانجليز الى مصر ودخلوها غدرا وخيانة ومن مصر استطاعوا أن يسيروا الجيش المصرى الى السودان ، ولما تم فتحه بفضل القوات المصرية ادعى الانجليز أنهم شاركوا فى فتح السودان وكان أن احتلوه كما احتلوا مصر من قبل .

والذى لاحظته على (بوركهارت) انه لا يدع مناسبة تمر حتى يتهال على المصريين والعرب بالشتائم المقذعة ، فيصفهم بأنهم جبناء وأنهم لصوص كذابون مفترون ، وخاصة حين يصف رحلته فى وادى النوبة؛ حتى ان المرحوم (محمد شفيق غربال) وهو الذى أشرف على طبع هذا الكتاب (رأى أن يحذف صفحات كاملة منه لما فيها من كيل السباب جزافا) والواقع أن تهمة الجبن هذه حاول كثير من المستعمرين أن يلصقها بالمصريين والعرب فيما كتبوه ، وقد عرض لها الاستاذ الكبير (عباس محمود العقاد) فى كتابه (سعد زغلول) وفندها وبصق على جميع الذين اخترعوها والواقع أن (بوركهارت) كان هو الجبان كما روى ذلك عن نفسه ، فهو قد ضرب واهين وبصق أحدهم ذات مرة على وجهه ؛ وأغلظ له الكثيرون فى القول وعيروه ونبذوه لكنه لم يثر لكرامته ولم يغضب لما لحقه من أذى ، وكيفما حاول ان يبرر هذا الضعف وهذا الاستخذاء فانه كان قادرا على أن يقف أمام هذه الاساءات كرجل ولو جره ذلك الى التلف .

ان هؤلاء الذين يصفهم بالجبن كان شاهدهم على شجاعتهم (بوركهارت) نفسه فهو يقول انهم يقومون بالرحلات فى أكثر أوقات السنة ويتعرضون لمتاعب الطريق والاخطار الشديدة التى تحيط بهم ، ولكنهم لا يتراجعون دونها بل يقتحمون الصعاب ويجالدون الأحداث ويقفون أمام الموت وقفة رجل شجاع .

والذى كان يحمل هؤلاء التجار الذين رافقهم (بوركهارت) فى شتى رحلاتهم ، على سوء الظن به ومحاولة اقصائه عن قوافلهم ، هو أنهم كانوا يحسبونه جاسوسا ، وأنت خبير بما يخامر النفوس الانسانية من قلق واضطراب حين تجد أن هناك عيونا تتعقبها وتحصى عليها حركاتها وسكناتها .

والكتاب رغم هذا ممتع وخليق بالدراسة والفهم لانه يكشف عن حقائق الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى مصر وفى السودان فى بداية القرن التاسع عشر .

محمد على غريب

مصرع الشيطان

للدكتورة عاتكة الخزرجي

الدكتورة عاتكة الخزرجي شاعرة مجيدة ، وكاتبة بليغة وأديبة محققة وأستاذة بجامعة العراق نشرت في هذا الاسبوع ديوانها الاول (انفاس الصباح) نقتطف منه هذه القصيدة :

وغيداء مثل الندى طفلة — تكاد من اللين أن تنكسر
يفوح الصبا ملء أردانها — فتغرى الورى بالرحيق العطر
وتندى من الحسن في جنة — تكاد عناقيدها تنعصر
وقد نسج الطهر من حولها — حدودا لما رامها مقتدر

***

تصدى لها يشتكي الهوى — وكم أنكر الحب في سره
يروم الى قلبها منفذا — فينفث ما شاء من مكره
عساه يروض به جامحا — ويبدل باليسر من عسره
فتمسى الفريسة في مخلبيه — تروح وتغدو على ظفره

***

وأغراه شيطانه بالملاك — وصورها في خليع الصور
وجردها فبدت كالصباح — ورقت رفيف الضحى والقمر
ومثلها في سرير الهوى — كأن بها عاصفا من سقر
تلهب أعطافها شهوة — تذيب الحديد وتورى الحجر

***

وهاج به الوحش لا يرعوى — عن الغى أو يستبيح الجمال
وراح يجند أسبابه — فنونا تقاصر عنها الخيال
يلين فيرخى لها ما تشاء — ويشتد حتى يضيق المجال

***

وصدته عن نفسها في دلال — رقيق وفي وازع من خفر
ولكنها لم تكن في حمى — عن الشر فاستهدفت للخطر
وأوهمها الذئب حتى غدت — تنزهه عن خطايا البشر
وراحت ترى فيه معنى الوجود — وسحر الجمال وسر القدر
وقهقه في سره وانثنى — ليشحذ أنيابه والظفر
فهذى الفريسة في مخلبيه — يقلبها ، هل لها من مفر ؟
ويسكرها بالكذوب الحلوب — من الوعد والأمل المنتظر
فيوقظ من حسها ما اطمأن — ويطلق من نفسها ما استقر
وهم بها .. فاستفاقت على — زئير يئز ولفح الشرر
وأبصرت الذئب من فوقها — يكشر عن طاحن كالابر
فزايلها الوهم في لحظة — تحدت بها ضحكات القدر
وألقت به وهى في أوجها — تقول : الى حماة من سقر

أرضنا

للأستاذ محمود أبو الوفا

دغدغوا الارض بالمحاريث حتى … تتعرى للشمس بطنا وظهرا
اقلبوها بطنا لظهر والا فمحال … أن ترجع الارض بكرا
عرضوها للشمس فالشمس أحرى أن … تحيل التراب فى الارض تبرا

***

هذه الارض أنبتت أطيب الطيب … وأحلى الثمار لونا وعطرا
كم رأينا فيها الحوالى الغوالى … واللدان الطوال بيضا وسمرا
ثم كم أورقت ظلالا عذارى … فى ربى الخلد ليس منهن أطرا
ماليها أصبحت كأن ثراها … نبتها الحلو خارجا عنه قسرا

***

أى غرس هذا الذى ليس يجنى … حين يجنى الا لحاء وقشرا
كيف أزهاره ترعرع خضرا … وسراعا ترتد كلحاء صفرا
مثل ما لو يكون قد عرضوه … للأعاصير وهو ما زال بذرا
كم تمنيت أن أقول ولكن … ما عسى القول للذى ليس يقرا

***

لا تسلنى عن أرضنا كيف تبرا … انتى منك يا أخى لست أدرى
الاولى عندهم من العلم شىء … هيكل العلم عندهم صار حكرا
كل رأى للناس لم يأت عنهم … فهو رد أو أمعنوا فيه سخرا
لو يشاءون صيروا الخل خمرا … أو يريدون صوروا التمر جمرا
رب وزر خلوه شيئا مباحا … ومباح خلوه وزرا وكفرا
نحنى عنهمو ودعنى وشعرى … لعساهم أن لا يسموه نثرا
لا تدعنى أحمل الشعر مالم … يحتمله فالشعر ما زال زهرا
ومن الحق ما يقال ولكن … منه مالا يباح للقول جهرا
فى ضمير الثرى جراثيم نكر … شر مافى ضمائر الارض نكرا
بعضها يشبه العناكب الا … أن فى نسجها عناكب أخرى
التماسيح لو تقاس اليها … والسعالى تهون نابا وظفرا
الضوارى أخف منهن شرا … والأفاعى أقل منهن مكرا
ليت شعرى والطهر للارض أصل … هل على عهدنا نرى الارض طهرا
أرضنا عرضنا وللعرض حق … اننا نبتغيه عزا وفخرا

***

ان هذا النبات للارض سفر … نحن منه الألفاظ والارض طغرى
عبثا ننتقى البذور اذا ما … ظل يسقى عروقها الماء كدرا
نظفوا الارض أولا ... وأخيرا … نظفوها كى يخرج النبت حرا

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

نحو نقد هدفه البحث

أجل .. فنحن فى مسيس الحاجة الى نقد هدفه البحث ، وغايته الوصول الى الحق ، يتسلح الناقد فيه بروح رياضية ، وخلق رفيع ، ويملك كل امكانيات النقد .

ولسنا فى حاجة - بالطبع - الى هذا السيل الجارف من النقد العابث ، الذى يدفع به الى حيز الوجود : اما أحقاد وضغائن صغيرة مترسبة فى نفس الناقد، واما شهوة مسيطرة عليه تجعله يتربص بكل انتاج فكرى ، غير مفرق بين غث وسمين ، ليشهر قلمه أو لسانه عليه ، بالحق او الباطل ، واكاد اشك أن يكون مثل هذين الناقدين قرأ كتابا واحدا فى النقد وأصوله ، أو على الاقل قد استوعب الذى الذى نقده قراءة ودراسة ، انما هى لقطات سريعة يلتقطها من النص تساعده على أن يحرك قلمه فى تهور ، ويطيل لسانه فى بذاءة ، ويثير بلسانه وقلمه معا ، صخبا ولغطا لينبه الأسماع ويلفت الانظار اليه ..

هذه مجرد خواطر طرات على ذهنى وانا أقرأ كتابا وصل من بيروت منذ أسابيع ، عنوانه : «طه حسين والشيخان» للأديب الأستاذ محمد عمر توفيق بمكة المكرمة ، وعنوان الكتاب يوضح مهمته . فهو نقد لكتاب أستاذنا الدكتور طه حسين «الشيخان» الذى صدر منذ أكثر من عامين ، ويعتذر الكاتب الناقد فى مقدمته عن هذا التأخر فى النقد ، بانه انتظر نقدا للكتاب فى الاوساط الادبية ، ولما لم يقع ، أخذ فى قراءة الكتاب ودراسة أفكاره ، ثم دفع بنقده الى المطبعة ليأخذ مكانه فى مجال النقد .

واكاد أعتقد أنه لأول مرة يشذ الناشر عن الطريقة المتبعة فى تقديمه لطبوعاته ، وهى تقريظ الكتاب والثناء المبالغ فيه فى مؤلفه ، فالناشر هنا يكتب فى ظهر الغلاف :

« يقول مؤلف هذا الكتاب عن طه حسين : انه من العباقرة ، ويضيف .. الا أن العباقرة جائز عليهم الخطأ - وسواء - كالآخرين » .

ونحن نرى أن طه حسين .. والشيخان نفحة من نفحات الحق تتضوع ، وشهاب من شهب التصويب يضىء ، وجهد علمى صادق ينمّ عليه أمانة علمية أصيلة » .

والحق - ونحن نقدم هذا الكتاب كنموذج طيب لنقد هدفه البحث - ان مؤلفه نموذج طيب أيضا للناقد الذى يكاد يرتفع فوق مستوى الشبهات، فهو يبرز أولا مدى ما يكنه من تقدير كبير لمؤلف الكتاب المنقود ، ويعلن ثانيا ، تجرده من اية لمسة من لمسات الغرور ، ويوضح ثالثا مهمته الاساسية من هذا النقد .. وهى البحث :

« ومما لا شك فيه أنه - أى الدكتور - عبقرى يملأ مكانه ، بحق ، فى مقدمة الرواد والطلائع .. الا أن العباقرة جائز عليهم الخطأ - وسواء ، كالآخرين .. على أن الامر لم يبلغ - وأرجو الا يبلغ - فى نفسى حد الغرور من اى نوع كان .. انما هو شىء خامرنى وقد فرغت من قراءة الكتاب .. شىء هدفه البحث » .

بمثل هذا الصفاء النفسى تجاه المؤلف ، وهذا التواضع الرفيع تجاه نفسه هو ، وهذا التحديد الواضح تجاه مهمته، افتتح بحثه، وسار فى دراسته فلم يحمل هراوة فى يده ، وراح يعبث بأفكار الكتاب متوهما انه ينقد ، بل حمل فكرا ناضجا ، وافقا واسعا ، وذهنا صافيا ، ونفسا كبيرة ، وراح يتحسس مواضع التهور فى الكتاب ، او أماكن الضعف ، أو زوايا المغالطة ، فاذا عن له شىء من ذلك ، وضع أصابعه عليه ، وفى يده حيثيات حكمه، وأسانيد أدلته ، دون حاجة الى أسلوب خشن يوهن من حجته ، او لسان فظ يشكك فى قدرته .

وليس معنى هذا أن الناقد قد تهاون فى مهمته ، فالحق انه ضيق الخناق على افكار الكتاب التى تناولها، ولم يحل احترامه للمؤلف أو مكانته الادبية أن يكشف عن عورات هذا الكتاب ، ويسلط عليها أضواء هزتها هزات عنيفة ..

والحق أن الناقد لم ينكر قاعدة الشك من أساسها، بل انه يرى فى الشك منهجا علميا سليما .. بشرط أن يكون الهدف هو الحقيقة - لا مجرد الشك والتشكيك :

« حق كل الحق أن تستقبل الامور كلها ببادرة الشك ، انما لبناء الفهم بعده على أساس صحيح ، والمفروض فى كل خبر أنه يحتمل الصدق والكذب ، ان استقباله بهذا المعنى هو الشك ، ثم يأتى دور الأدلة التى ترجح أحد الاحتمالين ، فاذا استمر الشك

بعدها فهذا ليس هو الشك .. أو منهج «ديكارت» وهو المنهج الذى بشر به الدكتور من وقت طويل .. انه حينئذ «عقدة» او «وسواس» او هو كلاهما ..

***

يتابع الناقد نقده ، فيقف وقفات طويلة مع المؤلف : فى موقفه من «الردة» حيث يرى ان الارض بعد وفاة الرسول عادت كافرة بعد اسلامها ، وان اشتعال النار شمل الجزيرة العربية كلها ، وان الاسلام حصر فى المدينة ومكة والطائف ..

وفى موقفه من قصة الاستخلاف او كتاب الاستخلاف ، حيث استبعد الدكتور ان يكون الرسول قد طلب الى عائشة فى مرضه الذى قبض فيه أن تدعو أخاها عبد الرحمن ليكتب لابى بكر كتابا لا يختلف الناس معه عليه ، ثم عدل عن ذلك وقال: دعيه فلن يختلف الناس على أبى بكر ..

وفى موقفه من القرآن والخلافة ، فالدكتور لا يشك فى أن القرآن لم ينظم للمسلمين أو الخلافة لا توارثها ، وأن النبى لم يترك وصية أجمع عليها المسلمون ، ولو قد فعلها لما خالف عن وصيته أحد من أصحابه ، لا من المهاجرين ولا من الانصار . وينفى الدكتور كل الروايات التى ذكرت الجدال والتخلف عن بيعة أبى بكر ، ويرى أن هذه البيعة تمت بالاجماع .

ومنهج الدكتور فى هذا وغيره الشك فى الروايات التاريخية ، حتى التى يستند منها الى أحاديث فى الصحاح ، ويستطرد الى الشك فيما كتبه ابو بكر من عهود لقواده ، بل حتى قصة اصرار أبى بكر على مقاتلة مانعى الزكاة وجدال عمر له ، وهى واردة فى كتب الحديث الصحيحة . ويعجب الناقد من أن الدكتور لم يتطرق اليه الشك فى أن خالدا قتل مالك بن نويرة ، ويرى أن تفاصيل الحادث عنده من التكلف الذى لا يراد به الا ابراء خالد من قتل أولئك النفر فى غزوة بنى جذيمة المشهورة وفيهم مالك بن نويرة ، وقصته مع خالد معروفة .

الناقد يرى ان منهج الدكتور فى انكار الروايات التاريخية يستند أولا الى قاعدة الشك عنده التى لا زالت تلازمه منذ عهده بكتابه عن الشعر الجاهلى، ولم يسر الدكتور على هذا المنهج فى كل ابحاث كتابه ، وكانت مهمة الناقد تحقيق هذه الروايات تحقيقا علميا وتاريخيا ، ليبعث فى منهج الدكتور الاهتزاز ، ويرى أن الزيف جائز فى التاريخ وفى كل شىء غير ان تحقيقه مسئولية كبيرة لها أهميتها فى حياة الامم ، والسبيل واضحة لا اشكال فيها ..

هناك الرواية ورواتها ، وهناك كلام المؤرخين والنقاد على اختلافهم ، وهناك منطق المقابلة بينها وبين نظائرها فى المستوى وفى الأحكام ، وهناك منطق الاحداث والوقائع ، وهناك شىء اسمه الترجيح والتردد والاحتياط .. كخطة العلماء والنقاد، وكخطة المؤلف نفسه فى بعض الكتاب ، اما الجزم القاطع بكذب الرواية او صدقها – حينئذ – فانه يبعد عن الخطة المثلى ، كيف ان كان العكس هو الصواب ، كما قد ظهر من أمر بعض الروايات ؟

***

وبعد –

فان كتاب أستاذنا الدكتور طه حسين «الشيخان» كان جديرا كل الجدارة بالنقد ، وان الاستاذ محمد عمر توفيق ، كان من الضرورى أن يتولى نقد هذا الكتاب ، فقد اظهر من الكفاءة العلمية ما هو اهل له من تقديرنا .

الا أنه اذا كنا نرى فى بعض أفكار كتاب الدكتور اسرافا فى التشكيك فى الروايات أحيانا ، والجزم القاطع بكذبها أحيانا أخرى ، فاننا نرى اسرافا أيضا فى هدم الناقد لقاعدة التشكيك عند الدكتور من اساسها ، والناقد فى منهجه لهدمه قاعدة الشك هذه عول كثيرا على الاحاديث كسند له ، ونحن لا ننكر أن الأحاديث من أوائل المصادر التاريخية ، ولكن هذه الأحاديث – ولا سيما ما كان منها من رواية الآحاد – قابلة للتحقيق .

ان القارىء لكتاب الدكتور «الشيخان» يكاد يحس رائحة التشيع لآل البيت وفيها مسحة من العاطفة ، وان القارىء أيضا لكتاب الناقد «طه حسين والشيخان» يكاد يحس مرة اخرى ، رائحة التشيع لأهل السنة وفيها مسحة من التعصب للشيخين ..

والحقيقة بعد ذلك لها وجود فى هذه الأبحاث التاريخية التى أرخت لفترة – على جانب من الأهمية – من تاريخ الاسلام والمسلمين .

وقد هذا النقد الموضوعى ، الذى امتزج بالجدية والاصالة ، وفرض علينا أن نحترم الناقد ونجله ، لأنه لم يحمل هراوة – كما يفعل أدعياء النقد – ليهدم بها افكار الكاتب ، ولكنه حمل فكرا ناضجا ، وافقا واسعا ، وذهنا صافيا ، ومعه أسلوب مهذب رقيق ، لا لينقد الكتاب لوجه النقد فحسب ، ولكن ليقوم بعملية شاقة مضنية .. اسمها البحث ..

محمد عبد الله السمان

مهرجان أحمد محرم

للأستاذ تحسين عبد الحي

عندما يسير التقدم الثقافى فى خط مواز للتقدم المادى بمحتوياته الصناعية والزراعية وغيرها .. **يكون تقدم المجتمع من حيث كونه مجتمعا ينشد الرفاهية بابعادها ـ المادية والثقافية تقدما كاملا غير منقوص .**

ونحن فى الجمهورية العربية المتحدة نسير بخطى سريعة نحو التقدم المادى والاجتماعى .. وعلى الرغم من أن نسبة كبيرة من تقدمنا الثقافى مازالت منحصرة فى حدود الثقافة المدرسية .. الا أنه من الملاحظ ان الآفاق الجديدة للثقافة الواسعة .. المتطورة .. بدأت تأخذ مكانها .. فى عقول شعبنا .

ولا شك أن النهضة الثقافية كفاية ـ قد أصبحت تفرض وجودها .. على جميع المستويات .. واتخذت من الوسائل الايجابية مجالا لنموها المطرد نحو الكمال .

***

ولقد كان **مهرجان احمد محرم** الذى أقيم فى دمنهور فى الفترة ما بين ١٥ ، ١٧ من الشهر الحالى احدى هذه الوسائل الايجابية .

وأهمية مهرجان محرم تنبع من أن هذا المهرجان قد أقيم لاحياء ذكرى رجل كافح بعقله الكثير من مظاهر التخلف فى مجتمعنا فى فترة كانت الاقلام تسخر فيها لخدمة أوضاع فاسدة وتثبيت مفاهيم رجعية فى عقول أبناء شعبنا .. **يضاف الى ذلك أن مجرد التقاء مجموعة من المفكرين على مستويات متفاوتة فى مكان واحد لمدة معينة .. قد أوجد الكثير من المناقشات فى مختلف فروع الثقافة .**

***

فطيلة الأيام الثلاثة التى استغرقها عقد المؤتمر .. كانت الندوات الخاصة تعقد وتستمر حتى الثانية صباحا .. فى فندق دمنهور السياحى .. وقد أثير كثير من القضايا الادبية .. منها الخلاف بين أنصار **الشعر التقليدى وانصار الشعر الحديث** ، وتضاربت الآراء فى هذا الموضوع ـ فأنصار الشعر التقليدى يرمون ـ **الشعر الحديث** ـ بأنه ليس شعرا .. ولكنه نوع من انواع الكتابة لم يصل حتى الى مستوى النثر الجيد أى أنه ليس شعرا وليس نثرا .. وانما هو عبث .. ويرد أنصار الشعر الحديث .. بان الشعر الحديث أقدر على تصوير المعانى من الشعر التقليدى ، لان تجرد الشاعر الحديث من **القافية والوزن** يجعله أقدر على تحريك الالفاظ والمعانى فى شعره ليخرج صورة مليئة بالمعنى والاحساس .. اللذين يضيعان فى أبيات الشعر القديم فى متاهات الأوزان والقوافى .. وهكذا ـ آراء وآراء ـ وبعد مناقشات عنيفة كان هناك شبه اجماع على أن الشعر الحديث ظاهرة فرضت وجودها .. ولا بد أن تأخذ فرصتها .. ومن خلال هذه الفرصة سوف نرى اذا كان من الممكن أن يستمر .. أم لا ..

***

ولا ترجع اهمية ماقيل فى هذه الندوات الى ماذكر فيها من آراء ولكن اهميتها فى أن أدباء دمنهور قد اشتركوا فيها جنبا الى جنب مع أدباء القاهرة ونقادها .. فأوجدت جوا من التفاعل والمشاركة الوجدانية نحن فى أمس الحاجة اليهما لربط الافكار المختلفة بعضها ببعض والنهوض بها .. ولا يستطيع المرء أن يخفى فخره واعتزازه بأدباء مثل الشاعر حسن قاسم (من أنصار الشعر الحديث) والشاعر ياسين الفيل من أنصار الشعر التقليدى ـ عندما دخلا فى مناقشات مدعمة بالدراسة والوعى الكامل مع الشاعر ـ كمال نشأت والشاعر أحمد السمرة وغيرهم وغيرهم ..

وأثيرت قضية عامة ـ **وهى مشكلة أدباء الاقاليم وكيف أنهم لا يجدون فرصا مثل التى تتاح لأدباء القاهرة .**

ورغم أن القضية قضية عامة بالنسبة للناشئين الا أن هذا الشعور يأخذ وضعا خطيرا فى نفوس أدباء الاقاليم ، ويخلق عندهم شعورا بالاضطهاد .. ولا اخالنى مغاليا اذا ما ذكرت أن بعضهم كان متأزما بشكل يدعونا الى التفكير فى حل عاجل .

وقمت من جانبى بعقد بعض الجلسات الخاصة مع قراء **الرسالة** فى دمنهور ، ومنهم من أتيح لى الالتقاء معه على صفحات مجلة **الثقافة** ، فى باب «**بين الثقافة والقراء**» وأوضحت لهم أن **الرسالة** على استعداد لتشجيع الانتاج الجيد .. وأعتقد أن هذه هى خطة الثقافة أيضا وضربت لهم مثالا على ذلك أن مجلتى الثقافة والرسالة تنشران فى أبوابهما الرئيسية أكثر من ثلث موضوعاتها لكتاب ناشئين .

وأثناء الحفل الختامى دارت بينى وبين السيد **محافظ البحيرة : الأديب ـ وجيه اباظة ـ مناقشة حول الرسالة والثقافة .. وكان رأى سيادته أن المجلتين ظهرتا فى وقت ملء بالتيارات الثقافية والاجتماعية والادبية الجديدة ، فيجب الاهتمام بهذا الجديد ..** ومن خلال هذه المناقشة القصيرة أيقنت أن سيادته من قراء المجلتين ، يناقش فيهما عن فهم ووعى صادقين .. وقمت بشرح وجهة نظر المجلتين على أساس أن **الرسالة وان كانت تنشر بعض القديم .. الا انها تنشر القديم المتجدد ..** المتصل بحياتنا الادبية والاجتماعية فى نطاق الطابع الاسلامى العربى

اما الثقافة فتهتم بالآداب والفنون العالمية وربط ثقافتنا بالتطور الثقافى العالمى .. والذى نستطيع من خلاله تقويم ثقافتنا والنهوض بها . **والرسالة والثقافة بعد ذلك تكمل كل منهما الأخرى .**

وهكذا كان مهرجان أحمد محرم مجالا **لتمجيد ذكرى شاعر عظيم ومجالا لمناقشات كثيرة ومفيدة .**

***

وقد قام الادباء بزيارة أماكن متعددة ـ حسب البرنامج الموضوع مثل قرية الابعدية ـ ومشروع التصنيع الريفى ، والوحدة المجمعة ومدرسة أحمد محرم والنادى ، والاستاد وغيرها من الاماكن التى استطاع الجميع أن يلمسوا من خلالها ذلك التقدم الهائل الذى غير وجه البحيرة .

ومن خلال هذه الزيارات المتعددة يستطيع المرء أن يفكر قليلا .. فقد تكلف النادى ـ ٠٠٠ر١٠٠ جنيه ـ **بردهاته وصالوناته الفخمة** ، وتكلف الاستاد ٠٠٠ر١٢٠ جنيه .. وحسب الخطة سوف يصل جملة المنصرف على الاستاد والنادى **الى ½ مليون جنيه .** ولا شك أنه عمل رائع حقا أن تشيد هذه الاماكن بفخامتها وعظمتها .. وسوف يكون أروع من ذلك ان نسمع ولو بعد فترة ، أن النية متجهة الى اقامة المؤسسات الثقافية بجانب المؤسسات الرياضية **لاننا نعرف أن العقل السليم فى الجسم السليم وليس العكس هو الصحيح** وذلك لاننا بخلاف ـ **مهرجان احمد محرم** ـ لم نجد تشجيعا للثقافة فى دمنهور . ولهذا يجب أن نخرج من نطاق الحدود المظهرية للعمل الى غمار العمل نفسه .

وبعد فهناك رأى يقول بأن الغرض من اقامة الحكم المحلى فى **المجتمع الاشتراكى** هو تقسيم المجتمع ككل الى وحدات (محافظات) تكون أصغر نسبيا من حجم الدولة .

يكون لدى المحافظ فيها صلاحيات **التوجيه السياسى والاشراف على خطة التنمية الاقتصادية والثقافية .** الغرض من ذلك التقسيم يرجع فى الدرجة الاولى الى أن الفرد فى المجتمع الاشتراكى يختلف عنه فى المجتمع الرأسمالى ، فالفرد فى المجتمع الراسمالى يعمل لصالح نفسه فقط . **اما الفرد فى المجتمع الاشتراكى فيعمل لصالحه ولصالح الدولة .** وبطاقة يجب أن تكون **أكبر ـ وأقدر ـ** بكثير ، وذلك للمساهمة فى سرعة انجاز التحول الاشتراكى .

ويرى الكثيرون ان الدافع الى العمل فى المجتمع الاشتراكى يجب أن يكون **التقدير الادبى** بجانب **التقدير المادى .. ويأتى ذلك التقدير الادبى من خلال العلاقات والاجتماعات الدورية ..** بين المسئولين والعاملين ، ولقد وجدنا **ذلك كله مطبقا فى البحيرة .** فالجميع يعتبرون المحافظ **صديقا لهم ..** أكثر من محافظ يحكمهم .. ومن هنا نستطيع القول بأن محافظة البحيرة تعد من المحافظات النموذجية فى مجالات التطبيق الاشتراكى .

ونحن هنا يحدونا الأمل فى أن يأخذ جانب القطاع الثقافى من عناية المحافظات نفس المستوى الذى تأخذه القطاعات الاخرى .

رحم الله أحمد محرم الذى أتاحت لنا ذكراه أن نرى جزءا غاليا من وطننا عن كثب ، ونشاهد على الطبيعة أعظم الاعمال الثورية .. فى ظل مجتمعنا الاشتراكى الجديد .

تحسين عبد الحى

- كان الاستاذ الاديب محمد عبد الحليم عبد الله ٠٠ بمثابة الدينمو المحرك للمهرجـــان فى مختلف المجالات ٠
- نجح المهرجان نجاحا لامثيل له ٠٠ فقد كان الناس يتزاحمون على الحضور للمهرجان لسماع الشعر والبحوث الادبية ، أليست هذه ظاهرة جديدة ؟
- كان مستوى الخدمة فى فندق دمنهور السياحى ممتازا ٠٠ ولا يقل بأى حـــال من الاحوال عن مستوى الخدمة فى فنادق الدرجة الاولى بالقاهرة ٠
- أعلن السيد محافظ البحيرة فى الحفل الختـامى للمهرجان ان المحـافظة قررت تخصيص منحة تعليمية ـ لخمسة طلاب ـ من أبناء البحيرة باسم الشـاعر احمد محرم وذلك فى مراحـل التعليم المختلفة ٠

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

ظاهرة غريبة فى بدء حياتنا القصصية

« تعليل صائب هذا الذى عللتم به كتابة شحاته عبيد عن الحب وقدرته على تناوله ، والاختلاط فى الريف الذى اوجد قصة زينب لهيكل . واريد ان اعرف هل قصة (البوسطجى) ليحيى حقى التى نشرها له سلامة موسى لأول مرة كملحق للمجلة الجديدة تأثرت ايضا ببيئة متحررة ، ام انها كتبت متأخرة عن الفترة السابقة » ؟ .

هذه فقرة من الرسالة التى بعث الى بها الاستاذ علاء الدين وحيد يعقب بها على ما كتبته عن شحاته عبيد ، وكنت قد قلت ان «شحاته» نشأ فى بيئة خاصة متحررة يجرى فيها الاختلاط بين الجنسين ، على خلاف ما كان يسود المجتمع المصرى اذ ذاك من الحجاب . اما قصة (البوسطجى) فقد كتبت متأخرة عن تلك الفترة باكثر من عشر سنوات حدث فى خلالها بعض التطور الاجتماعى وسفر كثير من الآنسات والسيدات المصريات المتعلمات .

ويثير الأخ علاء الدين قضية هامة فى الفقرة التالية :

« هل صحيح أن القصاص الجدد أيام شحاته عبيد لم يعرفوا الفروق بين القصص القصيرة والطويلة والمسرحيات ؟ أفلا يتناقض هذا مع انهم جميعا على ما اظن اطلعوا على الآداب الاجنبية ودرسوها ولم تكتب قصتنا الحديثة الا متأثرة بهذه الآداب ؟ فهل نأخذ اخطاء شحاته عبيد كقاعدة عامة أم كنقص فردى يقع عند التطبيق ؛ يخيل الى اننى اميل الى الرأى الثانى . وعلى كل حال ارجو ان نجد الجواب فى مقالاتكم القادمة » .

الواقع انه لا يمكن القول بأن أولئك الكتاب لم يعرفوا الفروق بين القصص القصيرة والطويلة والمسرحيات . انما الأمر كما قلت فى مقال عن شحاته عبيد أن مفهوم لفظ «الرواية» على العموم فى ذلك الوقت كان يشمل القصص بأنواعها من طويلة وقصيرة ومسرحية ، وحتى الآن لا تزال كلمة «الرواية» تطلق على المسرحية على سبيل التساهل ، واحيانا نقرأ او نسمع بعض الممثلين يقول : قمت بدور كذا فى رواية كذا ، بل نقرأ مثل ذلك فى كتابة بعض النقاد .

والأمثلة كثيرة جدا على ذلك المفهوم ، كانت — مثلا — مجلة « الضياء » الأدبية تنشر قصة قصيرة فى كل عدد مترجمة او مؤلفة تحت عنوان ثابت «رواية» ، وكانت بعض الصحف تنشر القصة القصيرة تحت عنوان «رواية تنتهى فى عدد» ، وجريدة «السفور» التقدمية التى كانت مجالا لكتاب الطليعة المجددين كتبت مرة انها قررت ان تنشر « رواية » كاملة — تقصد قصة قصيرة — فى كل عدد بدلا من الروايات المسلسلة . وتتردد كلمة الرواية كثيرا فى كتابات عيسى عبيد وأخيه شحاته عبيد وفى الاعلان عن مجموعاتهما ، وهما يقصدان بها القصة القصيرة . ومن ذلك ما كتبه عيسى تحت احدى قصصه فى مجموعة «ثريا» وهى قصة «الكازينو» كتب تحتها : «رواية مصرية عصرية ثنائية» ، ويقصد بكلمة «ثنائية» انها مكتوبة فى شكل حوار بين اثنين .

وقد يكون تعليل ذلك من الناحية اللغوية ان اطلاق كلمة الرواية على سائر الفنون القصصية انما هو من قبيل التغليب .

اما ما كان يقع فيه أولئك الرواد أحيانا من كتابة القصة القصيرة فى بناء يشبه بناء الرواية فهو عدم توفيق فى التطبيق كما يعبر الأخ علاء الدين .

والنقطة الهامة التى تحتاج الى التأمل فعلا هى مسألة الاطلاع على الآداب الاجنبية ودراستها والتأثر بها . فالظاهرة الغريبة أن كتابنا ظلوا عشرات السنين يترجمون القصص من الآداب الأجنبية ويكتبون قصصا مصرية دون ان تظفر من احدهم بقصة مؤلفة تتوافر لها عناصر الفن القصصى الحديث — سواء فى ذلك الكتاب الصحفيون الذين كانوا يكتبون لمجرد تسلية القراء ولكسب العيش ، او الكتاب الأدباء المطلعين الدارسين للآداب الاجنبية والمجيدين للغتين العربية واحدى اللغات الاجنبية ، مثل محمد المويلحى ولطفى جمعة وحافظ ابراهيم واحمد شوقى .

فقد كتب هؤلاء قصصا لم يجد فيها تاريخ الادب الحديث نقطة بدء للقصة الفنية المتكاملة .

وهاك مثالا : احدهم وهو لطفى جمعة الكاتب الجاد الذى وعى ثقافة عصره من قومية واجنبية ، له قصة طويلة عنوانها « فى وادى الهموم » رايته فى مقدمتها يقول : **وليعلم القارىء ان فن الروايات منقسم الى قسمين ، القسم الأول (رومانتيك) اى الروايات الخيالية ومن اشهر كتابها السير والتر سكوت واسكندر ديماس .**

والقسم الثانى (ريالستيك) أى الروايات الحقيقية وأول من كتبها بلزاك وتابعه تلميذه زولا .

هذا كلام يدل ــ من غير شك ــ على وعى أدبى مبكر (كتب سنة ١٩٠٥) فى حياتنا الادبية . وقال لطفى جمعة بعد ذلك فى المقدمة انه سيكتب قصة على مقتضى (الريالستيك) ولكن القصة جاءت بعد لا هى (رومانتيك) ولا (ريالستيك) .

والى اللقاء فى الاسبوع القادم حيث ننظر فى اسباب هذه الظاهرة .

اهتمامات صغيرة فى صحافتنا

عالجت مجلة «صباح الخير» فى الاسبوع الماضى موضوعا خطيرا .. اثارته بهذا السؤال الذى جعلته عنوانا كبيرا للموضوع الخطير » والسؤال الذى هو العنوان كما يلى :

« هل يعود رشدى اباظة الى زوجته الأولى ؟ »

ووصفت المجلة السؤال بانه « يحير الذين يعرفون رشدى أباظة جيدا .. »

والمحرر طبعا يعرف رشدى أباظة جيدا .. ولهذا احتار ! وتاريخ المعرفة حافل بالذين احتاروا فى المعضلات ، ولكن المسائل التى احتاروا فيها لم تبلغ حد الخطورة الماثلة فى موضوعنا هذا الذى يتعلق بتردد رشدى اباظة بين زوجتيه الاولى والثانية .. !

ولو أن هذا كل ما فى الموضوع لهان الأمر ووقف عند الحيرة .. حيرة المحرر ، او حيرة الاخ رشدى ، او حيرة القارىء .. ولكن الذى حير الالباب وصير المحرر التحرير دائخا .. هو :

«هل هناك خلاف حقيقى بينه ــ اى بين رشدى اباظة ــ وبين سامية جمال ؟ »

المحرر التحرير يقول وهو لا يزال دائخا :

« الأقوال تتضارب حول هذا الموضوع ... »

يعنى ان المسالة ليس فيها قولان فقط كاية مسالة عادية ، بل فيها أقوال .. ومتضاربة ..

فلا بد ان هناك «قولا» بانه لا خلاف ، و «قولا» بأن هناك خلافا .. وعلى هذا «القول» يتفرع خلاف آخر .. هل الخلاف بين الزوجين حقيقى أو غير حقيقى ؟

اربعة اقوال .. بقى قولان فى مسالة يظهر انها عادية .. هل سامية جمال الزوجة الأولى او الثانية ؟

والحاصل .. ان هناك ستة اقوال تتضارب وتتعارك فى هذا الموضوع الخطير .. وذلك لكى يتفرج القارىء وينبسط ..

هفوة عالم

تابعت ما نشر من مقالات الدكتور محمد أنيس عن ثورة ١٩١٩ التى تنشرها الجمهورية ويقدمها الاستاذ كمال الحناوى رئيس التحرير على أنها تصحيح لما جاء فى سلسلة مقالات عن الثورة نفسها فى «زميلة صباحية» يقصد جريدة الاخبار .

اعجبنى فعلا المنهج العلمى الذى يسير عليه الدكتور فى البحث ، ولكنى لاحظت فى المقال الاول انه عرج على كاتب مقالات الاخبار الأستاذ مصطفى امين ، أو بالاحرى والده الاستاذ امين يوسف ، ومسه بطريقة غير لائقة ، اذ قال انه كان صديقا للانجليز وكانوا يحمونه ، وساق ذلك سياقا يفهم منه انه كان منحرفا عن الوطنية السليمة ..

احسست ان الدكتور يخلط عملا صالحا وآخر سيئا .. الم يكن من الممكن ان يقصر كلامه على الموضوع دون هذا التجريح ؟ وما ذنب الرجل اذا كان لولده وجهة نظر تخالف رأى الكاتب ..؟

انى لا أدافع عن المرحوم امين يوسف ، واعتقد ان مثل تلك العلاقات قابلة لمثل التفسير الذى فسرها به الاستاذ العقاد وهو ان الانجليز كانوا يرمون الى ان يكون اتصالهم بالحركة الوطنية ومحاولة التفاهم معها عن طريق زعيم شعبى مثل امين يوسف .

انما انا فى الحقيقة ادافع عن الدكتور انيس نفسه .. كنت أود ان يتفادى هذا المنحدر وهو يسالك الجادة .. وأن ينأى بنفسه وبمنهجه العلمى عن ان يكون اداة من أدوات المنافسة بين الصحيفتين .

فى مقاله الأخير استنكار وتعجب من المهاترات التى كانت بين جريدة المؤيد وجريدة وادى النيل حول موضوع « وضع الجالية الشامية فى مصر » اذ يقول الدكتور :

« وجرت مساجلات ومهاترات بين الفريقين يعجب المرء اليوم لتورط الفريقين الى هذا الحد فيها » .

أفلا يرانى على حق اذ أعجب من تورطه اليوم فى مثل ما استنكره من مهاترات زمان مضى .. ؟

أفليس يوافقنى على ان كتابة تاريخنا القومى عمل جاد يجب الا تختلط به امثال هذه الشوائب ؟

عباس خضر

في موكب العلم

الاشعة الكونية ورحلة القمر
بقلم الاستاذ فوزي الشتوي

سقفان للأرض :

لعل أكثر ما يقلق بال المشتغلين بالاعداد لرحلة الانسان الى القمر هو الاشعة الكونية ، ولو ضمن العلماء شرها فى طبقات الفضاء العليا ، لهان عليهم تدبير امر رحلة يدور فيها الناس حول القمر ، أو على مقربة من سطحه ليكتشفوا بعض أمره . وقد كانت هذه الاشعة ، وخطر التعرض لها ، من أهم الاسباب فى اكتفاء رجال الفضاء بالصعود بمركباتهم الى الارتفاعات الحالية فى مدار يتفاوت بعده بين ١٦٠ و ٢٥٠ كيلو مترا عن سطح الارض .

ويؤثر العلماء ، فيما يختص بريادة الفضاء وكواكبه ، تقسيم هذا الفضاء الى جزئين أو منطقتين . وأولاهما ـ وهى التى تغلبوا عليها وصعدوا فوقها ـ هى منطقة الهواء الكثيف حول الارض . والثانية هى ما اصطلحوا على تسميته بمنطقة المجالات المغناطيسية للكرة الارضية . فالارض مغناطيس ضخم ، وله مجالات واسعة تمتد بين قطبيه على هيئة كمكة ضخمة وفيها تنتظم المواد وتتشكل ، كما تنتظم برادة الحديد بين قطبى المغناطيس .

فى هذه المجالات تعتقل المغناطيسية ما يصل اليها من مواد الكون فترة من الزمان . وهذه المواد فى الغالب اشعاعات لها تأثيرها على الاحياء . وبعضها يصل الى الارض بعد أن يفقد الجانب الاكبر من ضراوته اذ يلقى فى طبقات الفضاء والجو ما يتفاعل معه ويمتص ما فيه من خطر .

سر الهواء :

وقصة الاشعة الكونية واحدة من تلك القصص العلمية التى اراد فيها الانسان أن يكتشف سرا ، فاذا هو يتعثر ويكتشف آخر . ففى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر كان الانسان يبحث عن خواص الهواء ومدى صلاحيته لتوصيل الكهرباء . كان يراه فى العادة ، وأكثر الاحيان ، مادة عازلة لا تسرى فيها التيارات الكهربائية فى سهولة ويسر . ويراه فى أحيان أخرى مشحونا بالسنة من البرق التى تخط طريقها المتوهج فيه . وفى تجاربه العامة كان يعرف أن التيار الكهربائى يخترق الهواء بين قطبين من الفحم .

كانت معلوماته فى المعمل تقنعه بأن الهواء النقى عازل جيد ، ويرى الدلالة فى تفريغ هواء انبوبة بطرفيها قطبين وتسليط الكهرباء على طرفيها ، وكلما زاد التفريغ زادت قدرة الكهرباء على الانطلاق بين القطبين . واقتنع الانسان بأن معلوماته ناقصة ، وأن للهواء خواصا تجعله مرة موصلا جيدا للكهرباء ، وأخرى عازلا لها ، وبعبارة أخرى توجد عوامل تطرأ على الهواء ، فتغير طبيعته .

وفى عام ١٨٩٥ اكتشف الباحثون أن تسليط اشعة اكس أو السينية على الهواء يجعله موصلا جيدا للكهرباء . وجاء عام ١٨٩٦ ، فاكتشف العالم الفرنسى « بكريل » ما ترسله مادة اليورانيوم من اشعاعات اذا ما وجهت الى الهواء أكسبته خاصية التوصيل للكهرباء .



نموذج للقمر الرائد الذى أطلق فى عام ١٩٥٨ ليدرس الاشعاع . وظهر حوله فريق من العلماء الذين تلقوا بياناته ومنها عرفوا أن أقصى الاشعاع يوجد على ارتفاع ٨٠٠٠ كيلومترا .

❊

واتسع نطاق اكتشاف الصخور والعناصر المحتوية على المواد المشعة ، فاذا هم يعثرون على الاشعاع فى كل مكان حتى فى قاع المناجم . وعبثا حاول العلماء العثور على بقعة أرض خالية من الاشعاع الذى يغير صفاء الهواء يكسبه التوصيل الجيد للكهرباء .

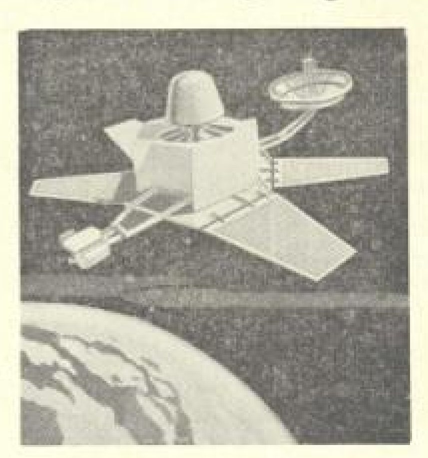
مفاجأة فى السماء :

وضاق العالم السويسرى « جوكل » باشعاع

الارض في عام ١٩٠٩ ، فقرر اجراء تجاربه بعيدا عنها ، فحمل أجهزته الى بالون ارتفع ٤ كيلومترات، مما بدا وقتئذ كمغامرة محمومة لاداعى لها ؛ اذكانوا يعتقدون أن ارتفاعه ١٠٠ متر كفيل بتحقيق عدنه، وعزل أى اشعاع ترسله صخور الارض وموادها المختلفة ، ولكن «جوكل» ماكاد يبدأ تجاربه في هذا الارتفاع حتى ذهل ، فان التوصيل هناك كان أفضل بعدة مرات بفضل زيادة الاشعاعات .

وكانت نتيجة تجاربه غريبة ، ولم يستطع أحد تصديقها ، فاهملت نحو ٣ سنوات حتى أقبل العالمان النمسويان « هس » و « كولهورستر » على تكرارها بين عام ١٩١١ و ١٩١٤ ، فارسلا البالونات الى ارتفاعات أبعد . وتبعا لما حصلا عليه من بيانات أعلن العالم « هس » اكتشاف اشعة كونية شديدة القوة حتى انها قادرة على اختراق طبقات الارض عدة مئات من الامتار . ومن ذلك التاريخ والعلماء يلاحقونها لعلهم يعرفون مصدرها ومن أين تقدم ، ثم كيف تتكون ، وكيف تنتشر ، وكيف تقتنى قدرتها الفائقة على اختراق كل ما يصادفها .

واذا ما حاولت الوقاية من الأضرار بصنع درع من أفضل المواد مناعة ضد الاشعاع وهى الرصاص، فانك تحتاج الى درع سمكه ٣ سنتيمترات حتى



محطة الارصاد مارينر أو البحار التى ألقت نظرة على كوكب الزهرة . وفى أثناء رحلة طولها ٣٥ مليون كيلومترا أرسلت بيانات هامة عن الاشعاع فى مختلف أنحاء الفضاء التى مرت بها .

لا تنفذ اليك الاشعة الكونية أى أن مركبة فضاء على هيئة كرة قطرها متر واحد ، تحتاج الى درع ثقله ١٠ آلاف رطل . أما الوقاية الكاملة من هذه الاشعة فتحتاج الى درع رصاص سمكه ١٥ مترا .

واختلفت النظريات عن مصدر هذه الاشعة ، فقالت أكثرها رواجا انها تنشأ من انفجار النجوم والغازات المتجمعة فى الفضاء . ولكن الملاحظات العلمية التى أمكن الحصول عليها أخيرا ، دلت على أن العمل المشترك لكل نجوم مجرتنا ، نهر التبانة ، لا تصلح لانتاج أشعة بالشدة التى نعرفها عن الاشعة الكونية ✱.

وتقول أحدث الآراء انها تنشأ عن الانفجارات النجمية القوية المعروفة باسم « سوبرنوفا » التى ظهر أن لهيبها يندلع فى مجرتنا كل بضعة قرون من الزمان .

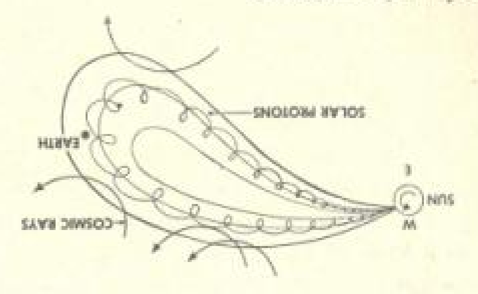
ويقول العالم الامريكى « جورج جامو » ان المجالات المغناطيسية الضخمة والقوية التى تنشأ عن اندلاع هذه الغازات الساخنة فى الفضاء تعمل على زيادة سرعة نوى غاز الايدروجين وهى جسيمة البروتون . وعندما تندفع هذه الجسيمات بسرعتها الكبيرة بين النجوم، فانها تكتسب مزيدا من السرعة بفضل المجالات المغناطيسية التى تقابلها فى اندفاعها .

١٠٠ مليون بليون فولت :

وقدر العالم « هرمان شايفر » الطاقة التى تدخل بها الاشعة الكونية جو الارض بنحو ١٠٠ مليون بليون فولت لكل من جسيمات الاشعة . ومن الجائز فى حالات متباينة أن تهبط هذه الطاقة الى ١٠٠ مليون الكترون فولت . ورغم كل ما بذله الانسان من براعة ، فانه لم يوفق حتى الآن فى صنع معجلات تستطيع اكساب الجسيمات الذرية هذه الطاقة الهائلة ، بل ان أقوى المعجلات الذرية سواء فى أمريكا أو أوربا لم تصل بعد الى طاقة ٤٠ بليون فولت .

وبالدراسات المتعاقبة بمعونة الصواريخ والبالونات والاقمار الصناعية قسم العلماء الاشعة الكونية الى نوعين واحداهما بدائية أو أولية ، وهى السابحة فى الفضاء بين الكواكب . وهناك تجد

ذرات المادة ، وقد خلعت غشاءها المؤلف من الالكترونات ، وانطلقت بسرعتها الفائقة فى كل اتجاه ، فتجد بينها نواة العناصر الثقيلة كالحديد ونواة الخفيفة كالايدروجين ·



عندما تنشط الشمس فانها تقذف من جوفها جسيمات مشعة تغلف الارض وما حولها وتؤثر على الاشعة الكونية فتجعلها تنحرف ·

وعندما تدخل جسيمات الاشعة الكونية فى هواء الارض، فانها تصدم ذرات الهواء؛ فتخلع عن بعضها غلافه الالكترونى وهى الظاهرة الطبيعية التى نسميها بالتأين ويصل حدوثه الى أقصاه على ارتفاع بين ٢١ و٢٤ كيلومترا من سطح الارض · وفى كل من هذه الصدمات تفقد الاشعة الكونية بعض طاقتها ومن الجائز أن تلقى صدمة مباشرة من ذرة كبيرة فتتحطم وتتناثر فى عشرات من الجسيمات كالبروتون والنيوترون والمازون وغيرها من جسيمات نواة الذرة · ومن الجائز أيضا أن تستمر فى فقد طاقتها تدريجيا ؛ ثم فجاة تلتقى بعدد من الذرات القابلة للتأين ، فتحدث مجموعة كبيرة منه وتكون خاتمة حياتها ·

ويطلق العلماء على الظاهرة الأخيرة تعبير «التحول» أو النحافة ، وهى أخطر مايخشونه على رجال الفضاء لما يحتمل ان تحدثه فى أنسجة الجسم ـ وبخاصة فى أجهزة التوريث ـ من تغير فى طبيعتها · فان اصابة الخلية بضربة مباشرة من جسيمة أشعة كبيرة تقتلها ، ولكن حدوث التأين يؤثر على الاجيال القادمة · ومن الجائز أن يحدث هذا التحول بفعل دروع السفينة ذاتها ؛ فيكون ضرره أشد من ضرر اصابة الجسم بالجسيمات الكبيرة التى يندر أن تجتاز مناطق الهواء الى ارتفاع ٣٥ كيلومترا اذ تنحل وتتفتت عندما تصل اليه ، ولكنها تكثر فوق هذا الارتفاع ·

اشعة ثانوية :

وتحت هذا الارتفاع تواصل الاشعة الكونية سيرها بعد أن تكون قد فقدت الجانب الاكبر من طاقتها وكتلتها · وعندئذ يطلق عليها اسم الاشعة الكونية الثانوية ، وهى سريعة جدا ، وقادرة على اختراق طبقات الارض ، حتى انها وجدت فى قاع مناجم عمقها ٨٠٠٠ قدم تحت سطح البحر ·

ومنذ خلقت الحياة على الارض ، وهى تعيش مع الاشعة الكونية الثانوية التى تخترق أجسامنا بالآلاف فى كل دقيقة· ولانحس باختراقها لاجسامنا بسبب صغر حجمها وسرعتها الفائقة ، ولأن أجسامنا وفقا للاوضاع والتعاليم الذرية ليست كتلة صماء من اللحم والدم والعظام ، بل ان نسبة الفراغ فى أية ذرة ـ سواء أكانت فى أجسامنا أم فى الجماد ـ هى ضعف غير الفراغ آلاف المرات · واحتمال اصابة أى من هذه الاشعة لاى من جسيمات الخلية تافه جدا ولا خوف منها ·



مناطق الاشعاع حول الارض · وهى جسيمات اطلقتها الشمس واعتقلها المجال المغناطيسى للارض· وبسبب هذا المجال أيضا تتجمع تلك الاشعاعات قرب القطبين على هيئة الشفق القطبى الذى يبدو كستارة جميلة تسدلها الطبيعة على الارض ·

ويرى عدد كبير من العلماء أن الاشعة الكونية الثانوية تلعب دورا هاما فى تطور الانسان · فهى عندما تخترق جسمه تتفاعل فيه ، وتحدث تحولا ينتقل من الآباء الى الابناء وبفعله يرقى الانسان فى سلم التطور ، ويمتاز الابن عن أبيه· واذا كنا لانرى الفروق فالسبب ضعفها ، وعجز حواسنا عن ادراك ما تفعله الطبيعة ·

فوزى الشتوى

البريد الأدبى

الى الاستاذ عباس خضر ....

قرأت لسيادتكم المقالتين الاخيرتين فى مجلة الرسالة الغراء احداهما بعنوان الرائد القصصى شحاته عبيد والاخرى « الرواية الأم جاوزت الخمسين » . واتشرف على استحياء بمشاركتكم فى اجلاء موضوع نشأة القصة المصرية الحديثة » علما بأننى مازلت طالب بحث ــ راجيا التفضل منكم بمواصلة التعقيبات التى تبين غوامض الموضوع .

فاقول « من أيام استشراف العالم العربى على الحضارة الأوربية فى القرن التاسع عشر واعجابه ببعض معالمها ــ ابتدأ العرب ينهلون من معين الادب الفياض مايسدون به نقصا كان يعترى أدبنا العربى ــ فوجد من جراء اتصالنا بالحضارة الغربية الاقاصيص المبتدعة كما فعل سليم البستانى حين كتب الاقصوصة « رمية من غير رام » سنة ١٨٧٠ ولبيبة هاشم حين كتبت « حسنات الحب » سنة ١٨٩٨ ــ وترجمنا كذلك بعض الاقاصيص كما فعل نسيب المشعلانى حين ترجم عن الانجليزية « النجاة بعد الياس » سنة ١٨٩٨ وخليل بيدس حين لخص عن الروسية « النعجة الضالة » سنة ١٩٠١ وفى مقدمة « الشيخ جمعة واقاصيص اخرى » لمحمود تيمور قيل ان اول من عالج كتابة الاقصوصة المصرية بل واول مؤسس لها هو « محمد تيمور » ــ توفى سنة ١٩٢١ ــ حين أنشأ مجموعة اقاصيصه « ماتراه العيون سنة ١٩١٧ ــ وعدد هذه الاقاصيص سبعة ــ لا تتنسم عبير القصة الا فى اثنتين هما « ربى لمن خلقت هذا النعيم » وهى معربة عن موباسان الكاتب الفرنسى والأخرى من تأليف محمد تيمور وليست مترجمة او معربة وهى « عطفة (الـ......) منزل رقم ٢٢ » ــ وهذه الاقصوصة الثانية بها فكرة ولها عقدة وتصوغ المثل الذى يقول « الجزاء من جنس العمل » او « كما تدين تدان » فى ثوب قصصى قصير لا باس به ــ اما الخمس الباقيات فليست الا خواطر قصصية تحتاج الى الصياغة والتنسيق وهذه الاقاصيص التى كتبها محمد تيمور اذا قيست الى ماكتبه محمد لطفى جمعة فى « فى بيوت الناس » سنة ١٩٠٤ و « فى وادى الهموم » سنة ١٩٠٥ لوجدنا الثانى يتفوق على الأول فى صياغة القصة ونحن نعرف أن محمد لطفى جمعه قد كان أول رائد للقصة المصرية بالمعنى الحديث اذ كتبها قبل محمد تيمور بثلاث عشرة سنة ونعرف أيضا ان العبرة ليست بمن سبق ولكن بمن سلك ــ فمحمد لطفى جمعة قد سبق زمنيا وسلك قصصيا سلوك المبدع الملهم وقدر له ان يطلع على روائع الادب الغربى فى ايامه ــ ومقدمة « فى وادى الهموم » التى كتبها سنة ١٩٠٥ ترينا مقدار تفهمه للمذاهب الادبية السائدة فى عصره وان دفاعه عن منهاجه الواقعى فى القصة يدلنا على مدى ثقافته الفنية التى أهلته لان يختار من بين مذاهب الادب المذهب الواقعى اذ لا يمكن للاديب اختيار منهج معين دون أن يكون قد اطلع على المناهج الاخرى ــ وقد لون « محمد لطفى جمعه » اقاصيصه الواقعية بطابع محلى وهذه الواقعية واقعية سوداوية مرة فكل أقصوصة فيها قتل أو انتحار ــ بينما يبدو على اقاصيص محمد تيمور طابع الرقة ومسحة الحضارة والترف فلم نجد فيها عنفا او مبالغة حادة قاسية فهو يسير الهوينى فى اقاصيصه ويأخذ قطاعات صغيرة مما تراه العيون ويلقى عليها ضوءا هادئا مريحا ينيرها من خلال كلمات سهلة منتقاة . ــ وكما يصور محمد تيمور قطاعا جزئيا فى لحظة من لحظات الحياة فانه ايضا قد يصور قطاعا كاملا لهذه اللحظة بعبارات قليلة تعطى معانى كثيرة قد تحيط بفكرة الاقصوصة كلها وذلك واضح فى ختام اقصوصته « كان طفلا فصار شابا » حين قال لقد كان طفلا جميلا فكانت تحبه مربيته والآن صار شابا جميلا فاحبته مربيته كعشيقة ضرم الحب انفاسها فيا للعجب مما تراه العيون فى ظلام هذه الحياة . »

وهكذا فى سطرين تمكن الكاتب من أن يحيط بفكرة اقصوصة تشتمل على ست صفحات وان يصورها تصويرا كاملا . اما محمد لطفى جمعه فقد ظهرت واقعيته فى أقاصيصه « فى بيوت الناس » وهى اقاصيص متصلة ومنفصلة فهى متصلة باعتبار أن

البطل واحد فيها وهى منفصلة باعتبار أن لكل أقصوصة موضوعا مختلفا وقد تحدث فى مقدمة هذه المجموعة انه يوضح باقاصيصه هذه مبادئه التالية
أولا : كرهه للعلم الذى لا يصل الى أعلى مستواه .
ثانيا : كرهه للاغنياء الذين لا يستغلون أموالهم لصالح الشعب .
ثالثا : كرهه للسجن كوسيلة لاصلاح المجرم .

و « فى بيوت الناس » تشتمل على احدى وعشرين أقصوصة فى واحدة منها هجوم على السطحيين الذين لم يتعمقوا فهم محرر المرأة من نير الحجاب « قاسم أمين » — وهو يبدأ هذه الاقصوصة ببيت شعرى يقول فيه : —

اقاسم ان القوم ماتت قلوبهم
ولم يفقهوا فى السفر ماأنت كاتبه

ويصدر محمد لطفى جمعه روايته الأولى الرائدة فى تاريخ الرواية المصرية بالمعنى الحديث والتى انشاها سنة ١٩٠٥ قبل رواية زينب التى انشاها هيكل سنة ١٩١٢ بسبع سنوات الا وهى رواية « فى وادى الهموم » بالحديث الشريف « عفوا تعف نساؤكم » . وهو فى مقدمته لهذه الرواية يقسم فن الرواية الى قسمين الحقيقى والخيالى فالرواية الحقيقية تمثل البشر كما هم والرواية الخيالية تصور البشر كما يجب ان يكونوا — وهو يصرح ايضا بانه فى روايته هذه سينهج نهج القصصيين الذين يكتبون فتهم الروائى على أساس الحقيقة ثم هو يبحث فى موضوع « انقاذ المرأة من السقوط » ويستعين بآراء مختلفة فى تبيين رأيه هو فمن الآراء التى استعان بها رأى تولستوى الكاتب الروسى الكبير الذى يرجع سقوط المرأة اليها هى أولا والى المجتمع ثانيا — ورأى فرح انطون الذى أعلنه فى مجلة « السيدات والبنات » ويقول فيه أن سبب سقوط المرأة هى المرأة ذاتها .

اما رأيه هو فيتضح حين يقول ان السبب فى سقوط المرأة هو الرجل **أولا** والهيئة الاجتماعية **ثانيا** — وفى اعلان راى محمد لطفى جمعه ابرز اهمية الثوب القصصى الذى يكسو هذه المشكلة بالحلول والمشكلة التى ابرزها لنا الكاتب فى « فى وادى الهموم » تطبيق لرأيه الذى اعلنه فى المقدمة فزبيدة احدى شخصيات روايته كانت احدى اختين ابوهما من الجزائر واستوطنوا الاسكندرية — وقد اختطفت زبيدة هذه زوج اختها المسمى ابراهيم ولكنه لم يرغب فيها بعد ان نال مناله منها فرجع الى اختها زوجه الأولى أما هى زبيدة فقد أتت الى القاهرة بتحريض من امها واحترفت — وهنا تبدو مسئولية الرجل والمجتمع معا فى تهيئة الوسائل لكى تضيع المرأة فاولا دناءة ابراهيم وغفلة والد زبيدة وعدم دفاع المجتمع عنها لما فسدت هذه المراة ولما انحدرت الى هذا الطريق الوعر .

وهكذا يبين لنا من هذا العرض السريع ان محمد لطفى جمعه هو رائد الرواية المصرية الحديثة كما انه هو رائد الاقصوصة المصرية الحديثة

محمد رشدى حسن
المعيد
بآداب القاهرة — فرع الخرطوم — السودان

***

« ورتل القرآن ترتيلا »

سألنى احد ابناء قطر شقيق ، ونحن فى زيارة احد مساجدنا الأثرية ، مشيرا الى قارىء كفيف ، يستجدى بقراءة القرآن ! الى اى مدى يفهم هذا القارىء هذه الآيات التى يرددها ؟! وما مدى صحة هذه الطريقة التى يتبعها ؟! وهل يتفق هذا مع ما للقرآن من قدسية ، ومالنا من حضارة ومدنية ؟! واذا كان منا من لا يزال يختلف مع طريقة بعض مشاهير قرائنا ، فما بالنا مع هؤلاء ؟ » .

وحينما ذكرت صاحبى بالمصحف المرتل ، ووسائل نشره واذاعته ، بعد ان ثبت نجاحه وامتيازه ، تذكرت اننا نحاكم من يؤدى اغنية .. دون ترخيص من الرقابة ! ولكننا لا نفعل ذلك مع هؤلاء المقرئين ، فان اى مقرىء ، يستطيع قراءة القرآن ، فى اى مكان عام ، وبالطريقة التى يراها اكثر قدرة على رفع أجره ، وبغض النظر عن كل الاعتبارات المقدسة الأخرى ؟!

فما بال وزارة الاوقاف لا تتخذ موقفا ايجابيا من هذا الموضوع ، وتوليه بالدراسة والبحث ، فتشترط شروطا فى المقرىء ، وطريقة القراءة ؛ وتحرم الاستجداء بآيات الله ، والغلو فى طلب الأجر عنها .. ! الى آخر ما تسفر عنه الدراسة والبحث وفى ضوء النجاح الذى حققه المصحف المرتل .

انها لو فعلت لنظمت تناولنا لكتاب العربية الاكبر وهو كل رسالتها واعظم مقدساتنا .

محمد محمود شمس

أخبار علمية وأدبية

★★★★★★★★★★★★★★

● افتتح الاستاذ الدكتور محمد عبد القادر حاتم مساء السبت الماضي اسبوع الكتاب العربي بالمعرض الزراعي بأرض الجزيرة ـ وبدىء في انعقاد الندوات الأدبية التي تقرر أن يلتقي فيها كبار الكتاب مع قرائهم في اليوم التالي لافتتاح المؤتمر ، المتحدثون هم الاساتذة : العقاد ، وفريد أبو حديد ، وسهير القلماوي ، ويحيى حقي ، ويوسف السباعي ونجيب محفوظ .

ومن الجدير بالذكر أن أكثر من خمسين دارا للنشر من القاهرة والبلاد العربية اشتركت في اسبوع المؤتمر ، وتقرر توزيع ثلاثة آلاف جنيه لجوائز مالية تشجيعية على الناشرين الذين تفوز كتبهم في العام القادم .

● أجرى الدكتور « كونستانتين سوروكين » الاستاذ بجامعة ماريلاند بأمريكا تجربة على أحد انواع النبات المائي ذي الخلية الواحدة اسمه «الجا» فعمد الى تأخير نموه بتقليل درجة الحرارة والضوء والتغذية ، وكان أن تلاءمت الخلية الواحدة مع البيئة الجديدة ، ونقصت عمليات التمثيل الضوئي ، وازداد عمر هذا النبات ساعتين ويخرج الدكتور سوروكين من تجربته بأن النبات تعلم كيف ينمو ببطء فصار يهرم ببطء ومن الجائز انطباق الحالة نفسها على الانسان ولا سيما بعد اكتشاف أسرار الشباب والشيخوخة .

● تناقش الجمعية الادبية بالقاهرة مساء الثلاثاء القادم موضوع : الصحافة الادبية ، ويشترك في المناقشة الاساتذة والدكاترة : فريد أبو حديد ، ومحمد احمد خلف الله ، وفاروق خورشيد ، واحمد حسين الصاوي ، ووليم الميري ، وعباس خضر ، وعبد الرحمن فهمي ، ويقدم الندوة الدكتور حسين نصار .

● نجح طبيب فرنسي في علاج الصلع وذلك عن طريق الحقن تحت الجلد بالهرمونات الانثوية ، وكان نجاح الطبيب مما يبشر بالخير .

● بدأ أمس الموسم الثقافي في نادي القصة وجمعية الادباء . بندوة موضوعها ادب اللامعقول . . تحدث فيها د. لويس عوض ـ د. مندور ـ والاستاذ انيس منصور ـ وغيرهم .

● يصدر قريبا للاستاذ فتحي عثمان كتاب جديد تنشره مكتبة وهبه بالقاهرة وعنوان الكتاب : « الفكر القانوني الاسلامي بين أصول الشريعة وتراث الفقه » يسجل الكتاب معالم الفكر القانوني الاسلامي في فلسفته واصوله وفي مجالات القانون المختلفة : ثم يناقش تراث هذا الفكر في اصوله الشرعية وصناعة الفقهية ، ليخلص من هذا التحليل الى تحديد معالم مستقبل فقهي رشيد تعود منه الشريعة الى سد حاجات المجتمع المعاصر في أوضاعه الحديثة .

● امكن اختراع راديو ترانزستور بلا بطارية او كهرباء ، يعتمد على الطاقة الحرارية المنبعثة من جسمك أثناء العمل ، يقوم هذا الراديو الجديد بتحويل الطاقة الحرارية الى موجات كهربية

المخترع عالم ياباني تمكن من اعداد اختراعه في لندن .

● أصدر الدكتور امير بقطر كتابا جديدا عن تطور التعليم وانتشاره في الجمهورية العربية المتحدة ، ولهذه المناسبة اقامت الجامعة الامريكية بالقاهرة مساء الخميس الماضي حفل تكريم للمؤلف ، حضره نائبا عن وزير التربية والتعليم الاستاذ كامل النحاس وكيل الوزارة .

● توالي اللجنة المشكلة من السادة الدكاترة محمد مندور ـ لويس عوض وعبد القادر القط والاساتذة عباس خضر وعبد الحليم عبد الله وعبد العاطي جلال وأحمد عباس صالح وأنور أحمد اجتماعاتها للاعداد لمؤتمر أدباء الجمهورية العربية المزمع عقده في مارس سنة ١٩٦٤ .

قصة العدد

الطلق الأخير

للشاعر الفرنسى « لامارتين »

ترجمة : الاستاذ عبده الشامى

خرجت يوما الى الصيد فأبصرت ظبيا ملؤه الرشاقة والوداعة وخفة الحركة وجمال اللفتات والوثبات . ينتقل من ربوة الى حفرة ومن هضبة الى أكمة فى طلب أعشاب بللها القطر طيلة الليل .

نطفقت أنظر اليه من خلال الخضرة واذا هو يرفع اذنيه حينا كمن يسترق السمع ويتحسس حفيف الاشجار . ثم يولى وجهه شطر الشمس يرشف أشعتها رشفا ويلتمس الدفء ليجفف جلده الرطب . وحينا يقفز الى كومة من الأحجار يستقبل من فوقها هبات النسيم تسكب فى معاطسه أريج الزهور وشذاها العطر .

فأسندت بندقيتى الى كفى وصوبتها نحوه بيد يهزها وخز الضمير . ثم ترددت مليا وامسكت عن اطلاق النار كأن هاتفا يقول لى ان حركة صغيرة من أصبعى تقضى على تلك الحياة المرحة الآمنة وهذه النفس البريئة المطمئنة التى لم تقترف ذنبا ولم ترتكب اثما .

ولكن حكم العادة وغريزة الطمع البشرى تغلبت على عاطفة النفور من هول القتل فخرج الطلق من بين الأنامل وسقط الظبى يتخبط فى دمه ويثب مرة ويهبط أخرى فوق أعشاب الغابة والدماء تسيل من جراحه وتصبغ الخضرة بلون قرمزى يتراءى فيه غدر الانسان وظلمه .

ولما تبدد الدخان فى الهواء وصعد الى متاهة الفضاء وسكن صوت النار اقبلت على ضحيتى فى مصرعها ممتقع اللون مضطرب الحواس اذا بالظبى حى يسمع ويبصر بل يسيل حلاوة وجمالا ويقطر رقة ورشاقة .

فأسند رأسه الى غصن وظل شاخصا يتأملنى والدمع يترقرق فى عينيه ثم ينحدر من مآقيها يتبادر الى السقوط على خديه متعثرا بين أهدابه متناثرا تحت أشعة الشمس الساطعة .

لا أنسى ما حييت هذه النظرات الناطقة باللوم والعتاب يقرأ فيها هول الفاجعة وعظم الجرم وفظاعة الموقف الذى تذوب له الحشاشة وتنفطر له النفس . وكانت لنظراته لغة خاصة صامتة ناطقة معا ان أجد لها معنى كان معناها : من أنت أيها القتال القاسى ؟ رحماك فما اسأت اليك فى شىء . وكان ينبغى أن أحبك وآنس بجوارك وأنعم بعطفك ولا أفر منك ولا أخافك ولا ارعبك .

مابالك جئت تسلبنى حظى فى الحياة ونصيبى فى الارض والسماء والنور والهواء وتفجعنى فى شبابى النضر ؟ فهلا فكرت فيما عساه يحل بأمى واخوتى وصاحبتى أو صغارى التى تنتظر عودتى اليها بعد اذ غادرتها طلبا للقوت وسعيا وراء قطرة من الماء أروى بها غلتى ؟ بربك قل لى فيم جئت وأى واجب أديت أو مهمة قضيت ؟ أفى ازهاق الأرواح متعة لأمثالك من البشر وتسلية ولذة ؟ ما سبب كل هذا الحقد والغضب والشر والانتقام ؟ وكان من الخير أن يكون بين جنبيك قلب رحيم يثمر الشفقة والرحمة والبر والمعروف .

وكانت أعضاؤه تضطرب وانفاسه تتحشرج فى صدره . وشكواه تنبعث من عينيه واضحة جلية كأنه يقول : أجهز على فقد قضى الأمر . فكان بودى لو أفتديه بكل ما ملكت يداى لولا أن حبل الرجاء مقطوع والأمل فى شفائه بعيد . واشفاقا عليه من العذاب المتصل تناولت بندقيتى وحولت عنه وجهى وأجهزت عليه بالطلق الثانى ثم ألقيت بالسلاح بعيدا وحاولت عبثا أن أستجمع شتات الأفكار والحواس فلم أفلح وهويت الى الارض وعيناى تفيضان بالدموع .

ولما استطعت ان أتبين ما حولى وقع نظرى على جثة الظبى المسكين وكأن الطبيعة ساءها ما حل بابنها البار فراحت تظلنا بسحابة من الحزن فلم يسعنى الا أن أضرب من هذا الحين عن تلك التسلية الوحشية والسطو على حياة الآمنين ، واقسمت الا أحمل سلاحا ولا أريق دما وكان يومنا هذا يوم الطلق النارى الأخير .

عبده الشامى



الدار القومية للطباعة والنشر